صفورية

والمجاهد

والفتى

الطبعة الأولى

1432هـ – 2011م

صفّورية

والمجاهد

والفتى

الدكتور غازي التوبة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (آل عمران) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ (النساء)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ (الأحزاب) ، أما بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمّد ﷺ ، وشرّ الأمور مُحْدَثاتها، وكل مُحْدَثة بِدعة، وكل بِدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

دوّنتُ في هذا الكتاب/القصة سيرة والدي أحمد التوبة -رحمه الله- كما سمعتها منه، كما دوّنتُ بعض ذكرياتي عن بلدتي

صفّورية، وقد كتبتُ عن جانب من لجوء عائلتي إلى سورية، وعن جانب من أثر النكبة في حياة أسرتنا بشكل عام.

وقد دفعني إلى تأليف هذا الكتاب حرصي على تدوين جانب من تاريخ القضية الفلسطينية، لأني أرجح أنّ بعض الوقائع التي قصّها والدي علينا لا زالت مجهولة، وأنّ بعض الوقائع لا زالت مجهولة الفاعلين، ومن الأمثلة الواضحة في هذا المجال (اغتيال اللواء لويس أندروز حاكم لواء الجليل)، فلم أجد في كل ما قرأت إشارة صحيحة إلى منفّذي الاغتيال، وإلى رواية تفصيلية للحادثة، مع أنّ اغتياله في 26\9\1937 كان حدثاً كبيراً وبارزاً في تطوّرات القضية الفلسطينية، وكان الشرارة التي أشعلت الثورة مرّة ثانية، وقد أكّد أهمية الحدث عدد من المؤرّخين للقضية الفلسطينية، ومنهم: أكرم زعيتر ومحمد عزة دروزة.

وقد اجتهدت أن أكون دقيقاً فيما ذكرت من وقائع وأحداث، وذلك لأني سمعت من والدي معظم الوقائع عدّة مرات من جهة، كما اعتمدت على عدّة أشرطة كاسيت سجّلناها لوالدي قبل وفاته -رحمه الله- من جهة ثانية.

ومن الجدير بالإشارة أنّ الصورة التي تمت بها وفاة والدي أعطتنا بعض المبشّرات على حسن الخاتمة التي رجاها في كل حياته، وابتغاها من كل جهاده، فقد جاءت وفاته بعد أن لبس ثياب الإحرام ونوى العمرة، وأخذ مقعده في الطائرة، فقد صعدت روحه إلى بارئها ولم يحس بوفاته أحد من أهله المرافقين له في الطائرة، وبعد أن توقّفت الطائرة في مطار جدّة دعوه إلى النزول فلم يستجب لهم، فوجدوا أنه قد توفّاه الله، وكان ذلك يوم الإثنين في 11 من ذي القعدة 1402هـ الموافق 30 من آب (أغسطس) 1982م.

ومن نعم الله عليه أنه دُفن في ثياب الإحرام، وأنه صُلّي عليه في الحرم المكي, وأنه دفن في مقابر مكّة بجوار خديجة زوج الرسول ﷺ وبقيّة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

نسأل الله – تعالى– أن يتقبّل عمله وجهاده وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنّة, وأن يجمعنا به في جنّة النعيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

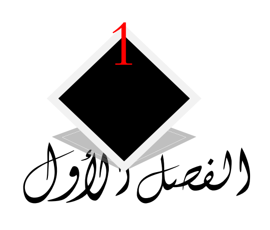
د. غازي التوبة

Altawbah939@hotmail.com
altawbah@al-ommah.org

الجمعة في 29 من ربيع الأول 1432 هـ
الموافق 4 من آذار (مارس) 2011 م



صورة تظهر مجمل قرية صفّورية عام 1948.



صفورية في ذاكرة الفتى

-1-

حديث عن جهاد والد الفتى

منذ أن تفتّح وعي الفتى وأصبح يفهم مدلولات الكلام كان يتحدّث أمامه والده حيناً, ووالدته حيناً آخر, وعمّته حيناً ثالثاً, وعمّه حيناً رابعاً إلخ... عن وقائع تتعلّق بحياة والده, وكانت تتردّد كلمات: الإنجليزي, الجهاد, المجاهد, اليهود, المستعمرة اليهودية, المطاردة, الخروج إلى الجبال إلخ...، ثم تجسّدت وترابطت هذه الكلمات بوقائع أصبح يحفظها, وكان يتكرّر الحديث عن هذه الوقائع وكان لا يمل الحديث عنها, بل يجد متعة مستجدّة, وكثيراً ما كان يطلب بعض الحضور من والد الفتى إعادة بعض القصص لأنه أحفظ من أي راوٍ آخر لها, لأنه صاحبها الذي حدثت وقائعها معه, وكان يستجيب حيناً ولا يستجيب حيناً آخر, ومع ذلك فقد كان الفتى يستمتع بها, ويخرج من حديث والده وهو ممتلئ نفسياً وكأنه أكل وجبة من أطيب ما يشتهي, وقد أصبحت القصص تحمل عناوين بارزة مثل واقعة نَهْلال، اغتيال أندروز، واقعة تمرة، الاعتقال في دمشق إلخ...

-2-

ذكريات عن البيت والبستان

وبعد أن غادرت العائلة فلسطين، وأصبحت لاجئة في سورية، ازدادت وتيرة الحديث عن تلك الوقائع الجهادية التي حدثت مع الوالد بين أفراد العائلة عند اجتماعهم في الأعياد والأحزان والأفراح والأسمار إلخ...، كما ازداد الحديث عن صفّورية، وعندما يأتي ذكر صفّورية كان الفتى يتذكّر بلدته بكل بهاء واعتزاز، وكان يتذكّر بيته هناك، فيتذكّر (العَقْد)1 الذي كان يعيش فيه، والذي هو أرحب وأوسع من بيت اللجوء، كما كان يتذكّر بستانهم في منطقة (الخَلّدية) الذي كان يزوره بين وقت وآخر، وكان يحوي كل أنواع الفواكه والخضروات، فقد كان يحوي أشجار التفاح والخوخ الأحمر والأصفر والرمّان والتوت والكمثرى إلخ...، كما كان يزرع أعمامه فيه كل أنواع الخضروات من خيار وفاصولياء وملوخيّة وبندورة إلخ...، وقد روى الوالد للفتى قصّة هذا البستان، فأخبره أنّ أرض الخَلّدية لم تكن مشجّرة، ولكنّ جدّ الفتى قرّر تشجيرها بعدما رأى مستوطنين يهود ألماناً في منطقة قريبة منهم شجّروا أرضاً

[1] العقد: اسم يطلقه أهل صفّورية على غرفة رئيسية واسعة في البيت السكني, تتميز بأنّ لها سقفاً يقوم على عدّة أقواس نصف دائرية, والأرجح أنها أثرية قديمة.

استوطنوها، فقرّر جدّ الفتى العمل مثلهم، فجمع آل التوبة وعرض عليهم فكرة عمل مشترك في أرض الخَلّدية التي كانت موروثة لمعظم أفراد العائلة، وكانت الفكرة تقوم على حفر بئر واستخراج الماء وعمل بركة في تلك الأرض، وتركيب موتور عليها من أجل ضخّ المياه، ثم تشجير تلك الأرض بمختلف أنواع الفواكه، وزراعة الأرض بمختلف أنواع الخضروات، وقد طلب جدّ الفتى من كل واحد منهم بضعة جنيهات من أجل تنفيذ هذا العمل المشترك، وعندما دفع كل فرد منهم الجنيهات المطلوبة حفروا البركة فخرج الماء ونصبوا عليها الموتور، وكان الموتور يضخّ الماء ضمن أقنية إلى كل الأراضي المزروعة.

-3-

علاقة الفتى مع عمّه

كان الفتى يزور البستان بين وقت وآخر مع أعمامه أو مع جدّته في غياب والده الذي كان قد فرّ من سجن عكّا ثم هرب إلى المملكة العربية السعودية وعاش فيها لاجئاً سياسياً لمدّة سنتين، وكان البستان جميلاً جداً، وكان الفتى يقضي أمتع الأوقات وأجملها في هذا البستان، ويتذكر الفتى الآن هذه الأوقات وكأنها حلم جميل قد انتهى، فقد كان يسبح في



بركة الماء حيناً، وكان يقطف بعض الفواكه التي تتدلّى أغصانها حوله كالرمّان والتفاح والخوخ حيناً آخر، وكان عمّ الفتى يُصدّر الخضروات والفواكه إلى حَيْفا، فينقل الخضروات والفواكه من بستان الخَلّدية في الليل إلى الطريق المسفلت الذي يمر بالقرب من البستان، وينتظر مرور الباص الذي يحمل الركّاب والخضروات إلى حَيْفا، فيبيع ما حمله في سوق الجملة، ثم يعود ببعض المال الذي ربحه فيعتاشون منه وينفقونه في قضاء بعض حوائجهم.

ويتذكّر الفتى أنّ عمّه أخذه معه في إحدى رحلات تجارة بيع الخضروات إلى حَيْفا، وفي نهاية هذه الرحلة اصطحبه عمّه إلى أحد المطاعم وأفطرا فيه بعد أن باع العمّ الخضروات التي جلبها معه.

ومازال يذكر الفتى العلاقة الخاصة بينه وبين هذا العمّ، ويتذكّر أنه كان يأخذه معه في معظم تحرّكاته ورحلاته، فيذكر أنه أخذه معه إلى مضارب إحدى العشائر راكباً خلفه على حصانه، ويذكر أنهم ناموا في إحدى الخِيَم، وعند الصباح صحا وإذا به يرى الأغنام، وقد أشربوهم حليباً من هذه الأغنام.

ذكر والد الفتى أكثر من مرّة أمامه وأمام إخوته الآخرين قصّة بستان الخَلّدية. وذكر بعض ما كانوا يملكون مقارنة بواقع حياتهم الحالي الصعب، الذي يتدبّرون فيه

مأكلهم وملبسهم ومسكنهم بكل صعوبة، فذكر أنهم كانوا يملكون أرضاً أخرى في غير جهة بستان الخَلّدية فيها عدد كبير من أشجار الزيتون، وكانوا يملكون بعض الأراضي الأخرى التي يزرعونها بالقمح والشعير وغير ذلك إلخ...

-4-

دار والدة الفتى

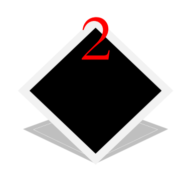
مازال الفتى يحمل في ذاكرته صورة ممتلئة بالتفاصيل عن صفّورية والناصرة مع أنه كان قد خرج صغيراً من صفّورية بعد أن درس فيها الصفين الأول والثاني، كما كان قد درس الصف الثالث في الناصرة، ومازال الفتى يذكر القلعة ذات الأحجار الضخمة والتي كانت تقع على تلّة مشرفة على صفّورية، وكانت دار جدّه من ناحية أمّه توجد بجانب هذه القلعة، لذلك كثيراً ما كان يتجوّل فيها لاهياً ولاعباً عندما يكون زائراً لبيت جدّه مع والدته، وكانت أمّه تنتسب للأشراف، وكان هناك مقام إلى جانب بيت جدّه، وفيه قبر لأحد جدود أمّه، وكانوا يعتبرونه وليّاً من أولياء الله، لذلك يأتي أهل القرية يتبرّكون به، وكانت تنسج القصص عن كرامات هؤلاء الأشراف، وقد ذكرت له إحدى قريباته أنّ شخصاً سرق عنزة من قطيع الأشراف، فلمّا ذبحها ليأكل منها وجدها مملوءة دوداً، كما ذكرت أنّ شخصاً سرق من بساتينهم شيئاً من الخضروات ولمّا أراد أن يخرج من أرضهم لم يستطع، واستمرت أرض الأشراف تمتد معه حتى رمى ما سرق فاستطاع أن يخرج منها حينئذ، كما يذكر الدير الواسع الذي يسكنه عدد من

الرهبان والراهبات مع أنه لا يوجد أيّة عائلة مسيحيّة في صفّورية، وكان الرهبان والراهبات من الأجانب وليسوا من العرب، وعرف الفتى من والده أنّ مريم عليها السلام قد وُلدت في صفّورية، لذلك كان أهل صفّورية وشبابها يتفاخرون على أهل القرى المجاورة في الاجتماعات العامة بأنهم أخوال المسيح عليه السلام لأنّ مسقط أمّه مريم عليها السلام في صفّورية، وقد أُقيم هذا الدير في صفّورية في المكان الذي وُلدت فيه مريم عليها السلام.

وقد عرف الفتى من والده أنّ اسم قرية صفّورية جاء من اسم زوجة موسى عليه السلام التي كانت تسمى (صفّورية)، وأنها كانت في فترة تاريخية سابقة تمثّل واحدة من مدرستَيْن دينيّتَيْن تتحكّمان في الدين اليهودي، ويماثل ذلك مدرستا البصرة والكوفة عندنا، وعلم من والده -أيضاً- أنّ كتب التاريخ تذكر أنّ قُوّاد الجيوش الصليبيّة اجتمعوا في قلعة صفّورية ووضعوا خطّة لمعركتهم مع صلاح الدين قبل أن يتوجّهوا إلى المواجهة معه في حِطّين.

أمّا الناصرة فتحمل صورة أبهى في ذاكرة الفتى، وأجمل ما في الناصرة الأحراش وأشجار الصنوبر المحيطة بها، التي كان كثيراً ما يقضي تحت ظلالها مع أقرانه أجمل الأوقات لاهين لاعبين.





الفصل الثاني

واقعة نَهْلال

-1-

نشأة الوالد

أمّا عن الوقائع التي قصّها والد الفتى فهي تبدأ من الحديث عن نشأته فقد ذكر أنه يقّدر أنه من مواليد 1910 لأنه يتذكر احتلال الإنجليز لفلسطين عام 1917، ويتذكر بعض الهنود المسلمين الذين جاءوا مجنّدين ضمن الجيش الإنجليزي إلى صفّورية بعد ذلك بعامين أو ثلاثة، كما ذكر أنه نشأ مُتديّناً يحب مجالس العلماء، وأنه أطلق لحيته منذ أن نبت شعر لحيته ولم يحلقها نهائياً، وكان يتردّد على صفّورية بعض من أتباع الشيخ عز الدين القسّام، وكانوا يعظون الناس ويعلّمونهم دينهم، وكانت اللافتة التي يعملون تحتها هي لافتة (جمعية الشبّان المسلمين)، وكانوا يقيمون علاقة خاصّة مع من يجدون منه التجاوب معهم، ولمسوا من الوالد تجاوباً فدعوه إلى جماعتهم، وربطوه ببعض المنتمين الآخرين من صفّورية، وذكر الوالد أنّ اللقاء كان بسيطاً، وكان أبرز ما فيه إعطاء العهد على الطاعة وعلى مقاتلة الإنجليز واليهود وعلى كتمان الأمر، وكانت تجري بعض التدريبات البسيطة على الأسلحة الفردية.

-2-

إلقاء القنبلة

قص والد الفتى على مسامع الأسرة أول عملية اشترك فيها وهي (واقعة نَهْلال)، وبيّن أنّ نَهْلال مستعمرة يهودية من أقدم المستعمرات التي أنشأها اليهود في فلسطين وهي تقع في مرج ابن عامر، وذكر أنه ذهب مع اثنين من أهل قريته صفّورية إلى تلك المستعمرة في إحدى الليالي هما: مصطفى علي الأحمد، والحاج صالح أحمد طه، وقد عُرف فيما بعد بأنه قاض من قضاة الثورة، وقد استغرق المشي إليها طوال الليل تقريباً وكان ذلك يوم 27\12\1931 وكان الفصل شتاء، والليل ماطراً، والأرض مبتلّة حسب ما يذكر الوالد, وكانوا يحملون قنبلة جلبها مصطفى علي الأحمد من حَيْفا, وكانوا يحملون معهم بندقية أيضاً، وذكر والد الفتى أنه عندما انطلق المجاهدون الثلاثة إلى هدفهم وقفوا وتعاهدوا على إخلاص النيّة لله في الجهاد, وألاّ يبوح أحد بسر إخوانه الآخرين, وتعاهدوا كذلك على الكتمان, ودعوا الله أن يوفّقهم. وذكر والد الفتى أنّ المستعمرة كانت بلا سور يحيط بها, ولا حرّاس يحرسونها, وأنها كانت تتكوّن من عدّة بيوت تسكنها عائلات مختلفة, وكان هناك أيضاً بجانب هذه البيوت اسطبلات تحوي بعض الحيوانات من أبقار ودواب, وذكر والد الفتى أنهم أوقفوا الحاج صالح أحمد عند باب المستعمرة حاملاً بندقيته ليكون في موقف

المدافع عنهم وليغطّي انسحابهم إن احتاجوا إليه، وتجوّلوا في المستعمرة, وكانوا ينظرون من الشبابيك إلى موجودات الغرف, وبينما هم يتجوّلون شاهدوا أشخاصاً في إحدى الغرف وقرّروا أن يلقوا القنبلة على هذه الغرفة, فشق مصطفى علي الأحمد المنخل الموجود في الشباك وأشعل فتيل القنبلة وألقاها، وذهب الاثنان: الوالد ومصطفى باتجاه الحاج صالح، وبعد أن وصلا إلى باب المستعمرة لم تنفجر القنبلة، وظنّا أنّ المحاولة فشلت، وعادا باتجاه الشباك من أجل محاولة ثانية، وبينما هما يسيران باتجاهه إذ انفجرت القنبلة، وفرّوا عائدين إلى قريتهم, وقد عرفوا فيما بعد أنه قتل شخصان أحدهم يبلغ من العمر ستين سنة والآخر يبلغ عشرين عاماً, و أنّ البيت المستهدف كان فندقاً.

-3-

فتح تحقيق في شأن القنبلة

فتح الاحتلال الإنجليزي تحقيقاً حول الحادث واستدلّوا من الآثار التي تركها المجاهدون على طريق المجيء إلى المستعمرة والعودة منها إلى أنّ المجاهدين جاؤوا من صفّورية, لذلك تركّز التحقيق عليها, واستدعوا المشبوهين, أو من يمكن أن يشكّوا أنه فعل هذا الحادث, لكن

التحقيقات لم تتوصّل إلى شيء ولم تثبت التهمة على أحد في صفّورية ولا في غيرها. لكنّ المحقّقين الإنجليز أخذوا حطام القنبلة التي ألقيت واحتفظوا بها في أدراجهم, و تبيّن لهم أنها قنبلة صنعت تصنيعاً يدوياً بدائياً.

وأثارت الحادثة ضجّة كبيرة في فلسطين على مستوى الإنجليز واليهود لأنها أول فعل جهادي ضد اليهود, وذكر والد الفتى من ضمن تعقيباته على حادثة نَهْلال أنّ اليهود اتخذوا قراراً بتسوير كل المستوطنات في فلسطين من أجل حمايتها, كما أنهم اتخذوا قراراً بإقامة حراسات ليلية على كل مستوطنة, و جرى كل هذا بعد تلك الواقعة. ولمّا لم يتوصّل تحقيق الشرطة الإنجليزية إلى الفاعلين الحقيقيّين في الفعل الجهادي طُوِيَ الموضوع إلى حين آخر.

-4-

طَوْق حول صفّورية

ثم دارت الأيام، وبيّن والد الفتى كيف تم القبض على مرتكبي موقعة نَهْلال, فذكر أنه كانت هناك عندهم بندقية و قنبلة, وهي أخت القنبلة التي فجّروها في نَهْلال، وذكر أنّ هذه البندقية والقنبلة كانت مخبّأة في بستان أحد الإخوان على أغصان أشجار الحمضيات، وأخبرهم هذا الأخ أنّ بعض الفلاّحين سيأتون إلى بستانهم ليحرثوا أرضه، وطلب منهم أن يوجدوا مخبأً آخر لهذه البندقية والقنبلة بشكل مؤقّت ريثما تنتهي حراثة البستان، ثم يمكن أن يعيدها إلى مخبئها السابق، وأخبر الوالد مصطفى علي الأحمد بالأمر، فاتفقا على أن يجلب الوالد البندقية والقنبلة إلى بيت مصطفى علي الأحمد فقال الأخير للأول: "أمر هذه البندقية سهل فإذا اكتشفها الإنجليز فالحبس عليها ستة أشهر وهذا أمر مقدور عليه، ولكن الخطر في القنبلة، علينا أن نبعدها عن أعين الإنجليز لأنها أخت القنبلة التي ألقيناها في نَهْلال"، المهم أنّ مصطفى علي الأحمد أخذ البندقية والقنبلة، فخبّأ البندقية في خزانة بيته، وخبّأ القنبلة في الخلاء المحيط بغرفته بعد أن حفر لها حفرة، ووضع عليها بعض الأحجار من أجل إخفائها. وبعد عدّة أيام من تخبئة البندقية والقنبلة ذهب والد

الفتى إلى مصطفى في صباح يوم من الأيام قبل طلوع الشمس بناء على موعد سابق, من أجل الذهاب سويّة إلى بستان الوالد لكي يعلّمه زراعة بعض الخضار ومنها: الملوخية والخيار إلخ... لأنّ مصطفى أكبر سنّاً من والد الفتى وأخبر في الزراعة، وعندما وصل الوالد قريباً من بيت مصطفى الذي يقع على أطراف القرية, وجد عسكرياً يقف على باب بيته, قال الوالد: "إنّ قلبي انخلع عندما رأيت هذا العسكري يحرس البيت و توجّست شراً, وقفلت عائداً إلى بيتي".

-5-

اكتشاف القنبلة

عرف والد الفتى فيما بعد أنّ الإنجليز اكتشفوا وجود السلاح المخبّأ عند مصطفى واكتشفوا وجود القنبلة أيضاًً، وقصّ علينا الوالد كيّفية اكتشاف هذا السلاح فقال: "ضرب الإنجليز طوقاً على بلدتنا صفّورية من أجل القبض على بعض المهرِّبين الذين يهرّبون الدخان وغيره", وأثناء ضرب الطوق أحسّت زوجة مصطفى بالجلبة التي كانت خارج البيت, فأفاقت زوجها من نومه, وفكّر بكيفية التخلّص من القنبلة التي كانت مخبّأة عنده في البيت, فاتفق مصطفى مع زوجته على أن تخرج مع طفلها الصغير وتستأذن العسكري الواقف بالقرب من البيت في أن يتبوّل الطفل الصغير في الخارج, ثم تحاول أن تلقي القنبلة بعيداً عن محيط البيت لكي يتخلّصوا منها, وبالفعل خرجت واستأذنت وسمح لها العسكري, ورمت القنبلة, فانتبه أحد العسكر المحيطين بالبلدة وكان عربياً، فأحس أنّ هناك جلبة وحركة غير طبيعية, و فتّش في المكان المحيط فوجد القنبلة, فأخذها وسلّمها للمسؤولين, وبعد ذلك تم اعتقال مصطفى وزوجته وكان ذلك يوم 1\5\1932.

-6-



أخضع الإنجليز مصطفى وزوجته للتحقيق, وبعد معاينة القنبلة الجديدة ببقايا القنبلة التي فُجّرت في نَهْلال وجدوا أنـهما متطابقتان فربطوا بين مصطفى وبين موقعة نَهْلال, فاعترف بدوره فيها, ودلّ على شركائه فيها, فذكر اسم أحمد التوبة, كما ذكر اسم إبراهيم الحاج طه وهو شقيق الشخص الثالث الذي كان معهما, وعند سؤال الوالد عن سبب هذا التصرّف من مصطفى, رجّح الوالد بأنّ مصطفى اجتهد فوجد أنّ إبراهيم أصبر من صالح الحاج طه فاختار ذكر اسمه. وبيّن والد الفتى السبب الذي جعل مصطفى يعترف على رفيقَيْه الآخرَيْن بأنّ الإنجليز وضعوا مصطفى في ضغوط نفسية غير عادية, و بخاصّة أنّ زوجته كانت قد اعتُقلت معه, وكان المحامي شريف الزعبي وهو محام من أهل الناصرة من عائلة معروفة جاء إليه وأوهمه أنّ الإنجليز يزنون بزوجته, و أنهم يخرجون معها في الليل ليسمروا معها في المنتزهات والمقاهي والفنادق، وليمارسوا الفاحشة معها, وكان يؤتى بامرأة في غرفة مجاورة، ويجعلونها تتأوّه، ويوهمونه أنها زوجته, وأنهم يمارسون الفاحشة معها، وكان يقول له شريف الزعبي: "أي وطنية

هذه وامرأتك يُزنى بها", وكانت هذه التمثيلية سبباً رئيسياً في انهيار مصطفى, كما أوهمه بأنه يقف إلى جانبه وأنه سيجعله (شاهد مَلِك) بمعنى أنه ستحكم عليه المحكمة بالعفو إذا اعترف على الآخرين, وبالفعل استسلم مصطفى لضغوط الشرطة الإنجليزية وإغراءات شريف الزعبي فاعترف بكل ما فعله في نَهْلال, واعترف على من شارك معه, وهما والدي وإبراهيم الحاج طه، وجيء بإبراهيم شقيق المشترك الحقيقي, كما اعترف على شخصَيْن آخرَيْن في حَيْفا هما: أحمد الغلاييني, وهو الذي صنع القنبلة, كما اعترف على خليل عيسى والذي أصبح يُعرف فيما بعد باسم (أبو إبراهيم الكبير) و هو من المسؤولين في تنظيم عز الدين القسّام (الجهادية)، وكانا معتقلَيْن من قَبل لوجود شبهات حولهما في قضايا أخرى، والواضح أنهما كانا مقرّبَيْن من الشيخ عزّالدين القسّام، فوجدت الشرطة الإنجليزية الآن عليهما تهمة محدّدة واضحة وهي اشتراكهم في قضيّة قنبلة نَهْلال، فأدرجتهما فيها.

وبعد انهيار مصطفى علي الأحمد واعترافه على نفسه وعلى الآخرين أخذه أحمد نايف وحليم بسطة إلى قاضي التحقيق وكان إنجليزياً ليعترف أمامه بما حدث معه، وأدخلاه إليه منفرداً، وهنا سأله قاضي التحقيق: "هل تريد أن تعترف بمحض إرادتك أم أنّ هناك ضغوطاً عليك؟"

فأجابه مصطفى: "لا، ليس هناك ضغوط، وسأعترف بمطلق إرادتي"، ثم اعترف له بكل ما حدث معه.

نجت زوجة مصطفى علي الأحمد من الفخ الذي نصبه لها أحمد نايف، فحدّثنا الوالد بأنّ أحمد نايف كان يعلّمها ما الذي يجب أن تقوله أمام قاضي التحقيق ليوقعها ويوقع زوجها، ولكنها عندما كانت تدخل إلى قاضي التحقيق الإنجليزي منفردة، تصيح بأعلى صوتها: "يا أبو نايف شو الكلام إللي بيدي أحكيه وإللي علمتني إيّاه نسيته، ذكرني فيه"، وهذا التساؤل يحمل إدانة واضحة لأحمد نايف، لذلك كان يسرع باستعادتها من عند قاضي التحقيق خشية الفضيحة والمسؤولية.

-7-

اعتقال والد الفتى

المهم أنه في يوم 1932\5\10 وبينما والد الفتى يحصد القمح في إحدى مزارع العائلة, وإذا بوالده يأتي مع دورية من الشرطة الإنجليزية إلى مكان الحصاد, واقتادت الدورية أحمد التوبة إلى المعتقل.

وَضَ◌َعَت الشرطة كل معتقل في بلدة, فوضعت أحمد التوبة في الناصرة, وإبراهيم الحاج طه في طبريّا, ومصطفى علي الأحمد في عكّا, وبدأ التحقيق مع الوالد, وحقّق معه أحمد نايف, وهو المحقّق الذي أوقع مصطفى علي الأحمد, وقد حاول أحمد نايف الإيقاع بالوالد, ودَفْعَهُ إلى الاعتراف, وساعده في ذلك المحامي شريف الزعبي الذي قال للوالد: "إنّ مصطفى الأحمد قد اعترف بكل شيء, وإنّ عليك أن تعترف بكل ما فعلته من أجل أن تُبَرّأ كما سيبرّأ مصطفى, وإنني موكّل من قِبَل الحكومة للدفاع عنك, و إنّ عليك أن تثق بي", وحاول أن يكسب ثقته عن طريق نسبه, وقال له: "إنني أنتمي إلى آل البيت" فقال له الوالد بعد كل هذه التضليلات أنه سيعترف بما قاله مصطفى علي الأحمد, لكنه تساءل أمامه: "كيف سيكون موقفي من أهل قريتي؟" وقال له شريف الزعبي: "سنخرجك أنت وابن بلدك ونحن نريد فقط ذانك الشخصين (أحمد الغلاييني وخليل عيسى) اللذَيْن كانا معتقلَيْن قبلكم". ثم طلب والد الفتى من شريف الزعبي أن يجمعه بمصطفى لكي يفهم منه ما الذي قاله, وقال الوالد معلّلاً سهولة استدراجه إلى الاعتراف بأنه كان ساذجاً وأنه لأوّل مرّة يواجه مثل هذه المواقف، وكان يظنّ أنّ المحامي مخلص له ومعه, ولا يتوقّع أن يكون المحامي خصماً له، ومن أساليب التوثيق التي اتبعها شريف الزعبي في تثبيت أقوال الوالد, أنه كان يجري الحوار معه وأحمد نايف مختبئ تحت سرير موضوع في الغرفة يتنصّت

على استدراج شريف الزعبي للوالد, ويسجّل الكلمات على الورق, ليكون شاهداً في المحكمة ضد الوالد.

المهم استجاب شريف الزعبي في النهاية وأحضر مصطفى علي الأحمد من أجل إقناع والد الفتى بالاعتراف, وجعله يمر من أمام أحمد التوبة, لكنّ مصطفى مرّر يده على فمه في إشارة إلى الوالد ألاّ يتكلّم بشيء للمحامي, وفهم الوالد الإشارة, ورفض الاعتراف بعد إشارة مصطفى علي الأحمد له, وأنكر أن تكون له علاقة بحادثة نَهْلال. هنا استنشاط المحامي شريف الزعبي والمحقّق أحمد نايف غضباً, و هدّدا والد الفتى, لكن لم ينفعهم ذلك التهديد شيئاً, وأصرّ الوالد على موقفه، وبأنه لا علاقة له بحادثة نَهْلال.

-8-

تهديد المحامي

وفي ليلة من ليالي الاعتقال وبينما والد الفتى في السجن, إذ رأى رجلاً من قريته صفّورية, وهو يلتقي معه في قربى من ناحية الوالدة, وكان هذا الرجل سيخرج في اليوم التالي إلى فضاء الحرية بعد اتهام له في إحدى القضايا, و سأل الرجل والد الفتى إن كان يريد شيئاً من أهله,

فقال له الوالد: "أخبر أهلي بأنّ المحامي شريف الزعبي يضغط عليّ لكي أعترف, وهو يريد أن يوقع بي, فضعوا لي محامياً آخر". وحمل هذا الرجل القريب هذا الكلام إلى جدّ الفتى, وبالفعل نزل محمود وهو عم أحمد التوبة في اليوم التالي إلى الناصرة, وطرق باب المحامي شريف الزعبي مهدّداً له, وقال له: "أحذرك بأنه إذا حصل أي مكروه لأحمد التوبة, فأنت المسؤول, وعند ذلك سأقضي عليك و على أولادك, فابتعد عن أحمد التوبة وابتعد عن قضيته, وإيّاك إيّاك أن تقترب منه في أي شأن". وبالفعل ترك هذا التهديد أثره في المحامي شريف الزعبي وتخلّى عن محاولة الإيقاع بوالد الفتى. بعد ذلك تعاقد العم محمود مع محام من طَبَرِيّة, ثم أغرته المخابرات لكي يترك الدفاع عن المتهمين ففعل ذلك, ثم تعاقد العم محمود مع محام من القدس يدعى (هنري كتن), حضر من فرنسا, وكان الشائع عنه أنه ذو إمكانات جيّدة في المحاماة، كما أنه ذو سمعة طيّبة، وبالفعل استلم القضية ثم جاء وخاطب الوالد أمام أحمد نايف وغيره من المحقّقين قائلاً له: "يا أحمد التوبة لا تعترف بشيء للمحقّقين ولا تُلبّ لهم أي طلب, وإذا تجاوز أحد الحدّ معك فسأحبسه". وحاولت الشرطة الإنجليزية إغراء المحامي هنري كتن من أجل الإيقاع بأحمد التوبة, وقالوا له: "المتهمون أربعة, نحكم اثنَيْن ونبرّئ اثنَيْن, واللذان تدافع عنهما نبرّئهما وهما: أحمد التوبة وإبراهيم الحاج طه, ونحكم على الآخرين وهما: أحمد الغلاييني، وخليل عيسى الملقّب بأبي إبراهيم الكبير"،

فرفض المحامي ذلك وقال لهم: "لو دفعتم أموال الأرض جميعها ما رضيت بذلك".

-9-

تفاعل الأمّة مع المجاهدين

كان تفاعل الأمّة مع المجاهدين واسعاً وقوياً، وكان واضحاً في التعامل معهم ومساعدتهم، ومِن ذلك أنّ شخصاً من أهل صفّورية وهو من العارفين بالمحاماة, ويقيم في حَيْفا, جاء إلى آل التوبة, وأخبرهم بأنّ أحمد نايف أحد المحقّقين مع الوالد محكوم بشهادة زور منذ عشر سنين, وأنه مستعد لاستخراج شهادة عن هذا الحُكم على أن يعطوه تكاليف هذا العمل, وبالفعل أعطوه المبلغ المطلوب, وذهب إلى نابلس واستخرج من سجلاّت المحاكم فيها صورة عن حُكم على أحمد نايف بأنه شاهد زور عام 1920, و أخذ هذا الحُكم و سلّمه إلى آل التوبة, وهم سلّموه إلى المحامي هنري كتن الذي احتفظ بهذا الحُكم كورقة اتهام للعاملين في التحقيق.

وذكر والد الفتى قصّة أخرى تبيّن تفاعل جمهور الناس مع المجاهدين, فذكر أنّ شخصاً من أفراد الشرطة

المقيمة في صفّورية عَرف أنّ تقريراً مزوّراً دُوّن ليلة حادثة نَهْلال، وقد جاء في التقرير المزوّر بأنّ امرأة مختارة لعشيرة بدوية شهدت بأنّ المجاهدين الثلاثة مَرّوا عليها وهم عائدون من تفجير الفندق في نَهْلال, وهم يحملون بنادقهم, وارتاحوا قليلاً في خيمتها, وشربوا ماء من عندها, وأكملوا سيرهم باتجاه صفّورية, وكانت مضارب الخيام حسب زعم التقرير جنوب صفّورية, لكنّ الحقيقة التي يعرفها هذا الشرطي أنّ مضارب هذه العشيرة وخِيَمها كانت شمال صفّورية بما يزيد عن عشر ساعات مشياً, لأنه مرّ عليها ليلة حادثة نَهْلال، واستعد أن يصدع بهذه الحقيقة ولو كلّفه ذلك الموقف الطرد من سلك الشرطة, لأنه رأى تلك المختارة وتلك العشيرة البدوية في ذاك الموقع ليلة حادثة نَهْلال وبالفعل أخذ المحامي هنري كتن هذه الشهادة ووضعها في ملف القضية من أجل إضعاف موقف التحقيق والمحقّقين أمام القضاة والمحكمة. حمل المحامي هنري كتن هاتَيْن الشهادتَيْن وذهب بهما إلى مسؤول التحقيق (حليم بسطة) وهو مصري كان يعمل مع الشرطة الإنجليزية في مصر، وجاء به الاحتلال الإنجليزي إلى حَيْفا في فلسطين ليتابع قضية الشيخ عزّالدين القسّام, وجاؤوا به ثقةً بخبرته وإمكاناته من أجل رصد نشاط الشيخ عزّالدين القسّام, والإحاطة به, ثم القضاء عليه. إذن ذهب المحامي هنري كتن إلى حليم بسطة و أحمد نايف, وأوضح لهما أنه حصل على شهادتَيْن ضدّهما، وهدّدهما بأنهم إذا عملوا شيئاً في

حق أحمد التوبة وبخاصّة الكلام الذي استدرجوه إليه عن طريق شريف الزعبي وأحمد نايف, فإنه سيبرز هذه الشهادات, وإنه سيلاحقهما قضائياً ويحبسهما لأنهما مزوّران, وقد أعطى هذا التهديد نتائجه, وبالفعل لم يقدّم التحقيق أي شيء بحق أحمد التوبة.

-10-

علاقة مع السجّان

كان هناك سجّان عربي من قرية عَرّابي في محيط جِنين يدعى عبدالرحيم جرّار, كان يؤانس الوالد في ليله بعد أن يذهب المسؤولون من السجن, وكان في بداية العلاقة لا يوصل له الأشياء التي يودعها أهله عند مسؤولي السجن بل يأخذها من طعام وشراب ونقود وملابس إلخ.., لكنه أصبح يوصل له هذه الأشياء بعد أن توثّقت العلاقة بينهما, وكان السجّان عبدالرحيم جرّار صاحب شراب وفواحش, فبدأ والد الفتى المسجون يعظه, ويبيّن له فداحة هذا المسلك, وسوء العاقبة نتيجة هذه الفواحش, فَرَقّ قلبه, وامتنع عن الفواحش وصلح, وتمتّنت العلاقات بين السجّان والسجين, واستمرّ الوُدّ والعلاقة الطيّبة بينهما حتى بعد خروج المجاهد أحمد التوبة من السجن, فزاره أحمد التوبة في داره في قرية

عَرّابي, وحمل له بعضاً من خضراوات وفواكه بساتينهم, وقد ذكر والد الفتى أنّ عبدالرحيم جرّار زار الوالد بعد النكبة في بلدة لجوئه في حِمْص في الخمسينيات من القرن العشرين، وذكر أنه أوصى أولاده أن يحفظوا الوُدّ لأحمد التوبة بعد مماته.

وقد ذكر الوالد أنّ والدته كانت تجيء إلى باب السجن آتية له بالطعام وببعض الحاجيات الأخرى، وكانت تصيح به: "يامّا، يا أحمد، اصبر، الله معك، الفرج قريب"، وذكر الوالد أنه كان يسمع صوتها ولا يراها، وكانت هذه الكلمات تنزل كالبلسم على قلبه، فيرتاح ويطمئن.

-11-

المحاكمة في حَيْفا

جمع الإنجليز المساجين الخمسة في سجن عكّا بعد انتهاء التحقيق وقبل المحاكمة، وعندما اجتمعوا بدأوا يتحدّثون مع بعضهم حول التحقيقات التي أُجريت معهم، وقصّ مصطفى علي الأحمد الفخ الذي نُصب له، والذي أوقعه فيه المحامي شريف الزعبي، وبيّن كيف أنه ذهب إلى



النائب العام وهو إنجليزي وهنا سأله النائب العام الإنجليزي: "هل أجبرك أحد على ما ستقوله أمامي؟" فأجاب بالنفي، وذكر أنه اعترف أمام النائب العام بأنه هو الذي ارتكب حادثة نَهْلال، وقال إنّ الإنكار أمام القضاة لن يفيده الآن شيئاً في المحاكمة، ولكنه مع ذلك سينكر من أجل أن يبرّئ رفاقه الآخرين. وكان ممّا أسرّه مصطفى علي الأحمد للوالد بأنه يعتقد أنّ أهله قصّروا في التواصل معه وفي توكيل محام كفء له، وهذا سبب رئيسي في توريط شريف الزعبي له.

ولمّا أحسّت إدارة السجن بأنّ المتهمين الخمسة يتشاورون ويتهامسون وقد يستفيدون من هذا اللقاء في محاكمتهم فرّقت بينهم مرّة ثانية. وذكر والد الفتى أنّ المحاكمة جرت في أيلول (سبتمبر) من عام 1932 في حَيْفا في حي يهودي يسمى (حارة التَخْنُكة)، وكانت الشرطة قد ربطت بين والد الفتى وإبراهيم الحاج طه في حديد واحد، وربطت بين رجلَيْهما ويدَيْهما بحيث كانوا يقضون حاجاتهم جميعها من أكل ونوم وحمام بشكل مشترك، وقد ذكر والد الفتى أنهم كانوا يأخذونهما بعد المحاكمة إلى عكّا، ثم يجلبونهما في الصباح، أمّا بقيّة المتهمين فكانوا يبقونهم في حَيْفا، وكانت قاعة المحكمة ممتلئة ومكتظّة بالحضور من كلا الطرفين: العرب واليهود، وذكر الوالد أنه كان يأتي كل يوم باص مزدحم بالركاب يحمل أناساً من صفّورية من

أقارب المتهمين، وكان اليهود يحشدون أنصارهم في مقابل الحشد العربي، وكانت المحكمة تتألّف من أربعة قضاة، وكان رئيس المحكمة قاضياً إنجليزياً، وبدأت المحاكمة وسط تعالي صياح الطرفين العرب واليهود، وكانت الساحة في خارج قاعة المحكمة أيضاً ممتلئة بأنصار الطرفين، وكانت الصحافة حاضرة تغطّي أكبر حادثة اعتداء على اليهود شهدتها فلسطين حتى الآن، وبدأت المحاكمة بأن أنكر الجميع أنهم مذنبون، وهنا ضجّت القاعة، ثم تتالت الجلسات، وكان من ضمن الشهود شخصان رتّب لهما الإنجليز هذه الشهادة: الأول شهد بأنه رأى المتهمين الثلاثة في أول الليل وهم ذاهبون باتجاه مستوطنة نَهْلال، والثاني شهد بأنه رأى المتهمين الثلاثة قادمين من مستوطنة نَهْلال في آخر الليل يشربون ماء في جنوب صفّورية، واستمرت المحاكمة ثمانية عشر يوماً، واستدعت المحكمة أربعين شاهداً، كما استدعت المحكمة قاضي التحقيق الإنجليزي الذي اعترف أمامه مصطفى علي الأحمد بإلقائه القنبلة في نَهْلال وأكّد هذا الاعتراف، وحكمت المحكمة في نهاية المحاكمة بالإعدام على مصطفى علي الأحمد وأحمد الغلاييني، وبالبراءة للثلاثة الآخرين: الوالد وإبراهيم الحاج طه وخليل عيسى (أبو إبراهيم الكبير)، وكان هذان القراران بإجماع القضاة وقد أُطلق سراح الاثنين الأوليّين واحتفظت الشرطة بخليل عيسى (أبو إبراهيم الكبير) لفترة من الزمن.



-12-

احتفالات بالنجاة من المحاكمة

وعندما خرج ابنا صفّورية أحمد التوبة وإبراهيم الحاج طه، واستلم أهل صفّورية ابنَيْهما، أخذوهما وناموا ليلتهم تلك في حَيْفا، ثم غادروا في الصباح إلى صفّورية، ووصلوا إليها عند الظهيرة وكان الوقت صلاة جمعة, فدخل الوالد ومن معه المسجد وصلّوا الجمعة ثم خرجوا، وبدأت الولائم تتوالى احتفالاً بخروج الوالد وصاحبه من السجن وكانت كل يوم تقام عند عائلة من عائلات صفّورية، واستمرّت حسب ما يذكر الوالد هذه الولائم ما يقرب من شهر.

وذكر والد الفتى أنه بعد خروجه من السجن بدأ جدّ الفتى يتدحدل على الأرض فرحاً بخروج ابنه، ثم تحاور والد الفتى وجدّ الفتى، فكان الأول قد زاد وزنه في السجن، في حين أنّ الآخر كان قد هزل وضعف، فقال الثاني للأول: "لماذا ازداد وزنك في السجن؟" فأجاب: "إنني كنت أبغي من عملي هذا الشهادة في سبيل الله فإن أعدموني فقد تحقّق ما أريد، وإن لم يعدموني كان هذا فضلاً من الله ومِنّة، لذلك

فإنني مطمئن في كل الأحوال"، وسأل المجاهد والده: "ولماذا هزلت أنت؟" قال: "خوفاً عليك وحزناً على فراقك، وتوجّساً مما قد يصيبك".

كانت تحضر والدة أحمد التوبة المحاكمة يومياً، وفي أحد الأيام جاءها أحد الضبّاط اليهود الذين كانوا يحضرون المحاكمة والمرتبطين بجهاز الشرطة، فقال لها مستدرجاً: "إنّ ابنك سنبرّئه هذه المرّة، ولكن عليه ألاّ يعود إلى مثل هذه الجرائم مرّة ثانية." فقالت له بشكل فطري: "إنّ ابني مسكين لم يفعل شيئاً ولن يفعل شيئاً في المستقبل"، وبهذا تخلّصت من مكره بشكل عفوي.

تم تنفيذ حُكم الإعدام بالمجاهد مصطفى علي الأحمد في شباط (فبراير) من عام 1933، وذكر الأشخاص الذين نفّذوا فيه حُكم الإعدام أنهم لم يروا أشجع منه في الإقبال على الموت، وأنه رفض أن يغمضوا له عينيه، وأنه وضع بيدَيْه حبل المشنقة في رقبته، وبهذا ذهب شهيداً إلى ربّه، أمّا أحمد الغلاييني زميله الآخر الذي صدر عليه حُكم الإعدام فقد ذهب أهله إلى أمير الأردن حينذاك الأمير عبد الله (قبل أن يصبح ملكاً) وطلبوا منه التوسّط لدى الإنجليز، وبالفعل توسّط لهم، وتحوّل الحُكم إلى مؤبّد، وقضى أحمد الغلاييني خمسة عشر سنة في السجن.

-13-

وقائع بعد محاكمة (قنبلة نَهْلال)

رصد رجال القسّام كل وقائع المحاكمة وما جرى فيها، وتابعوا أقوال الشهود ودور المحقّقين والمحامين، وقرّروا بعد انتهاء المحاكمة معاقبة المتعاونين مع الإنجليز والمحقّقين الذي ورّطوا مصطفى علي الأحمد، لذلك تمت محاولة اغتيال كل من حليم بسطة وأحمد نايف وشريف الزعبي وغيرهم من الشهود، وقد تم اغتيال حليم بسطة وأحمد نايف، ولكنّ شريف الزعبي نجا من محاولة الاغتيال.

اعتقل الإنجليز الوالد مرّتين بعد حادثة المحاكمة بسبب حادثة سرقة حدثت في صفّورية والبلاد المجاورة لها، مظنّة أن يكون الوالد أحد المشاركين فيها، وذكر الوالد أنه بقي مسجوناً في كل مرّة ما يقرب من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، وذكر أنه التقى في المعتقل بعضاً من أصحابه القسّاميّين، فكانوا يتفقون على الإضراب عن الطعام احتجاجاً على اعتقالهم التعسّفي الظالم الذي يقوم على دعوى الظنّ، وكان الإضراب يتم عن الطعام عندما يجلبه أهلهم،

فيرفض المساجين استلامه ويبدأ صياح أهل المساجين تفاعلاً مع أبنائهم، وكانت الصحافة تسجّل هذا الهرج في محيط السجن وتتحدّث عنه في صحف اليوم التالي، ممّا يضع الشرطة في الحرج فتضطر إلى الإفراج عن المساجين.



من اليمين أحمد التوبة ثم نايف المصلح، وكلاهما من صفّورية، وكان نايف المصلح قد جُرح أثناء معركة في محيط عكّا ونقل للعلاج في دمشق.

الصورة أخذت في دمشق عام 1939.



الفصل الثالث

الثورة في عامي 1935 و 1936

-1-

خروج عزّالدين القسّام إلى الجبال

ومضى والد الفتى يقصّ على مسامع العائلة قصّة جهاده، فذكر أنه في عام 1935 تدارس عزّالدين القسّام أمر الخروج إلى الجبال وإعلان الثورة مع القيادة المحيطة به، وكان هناك رأيان: أحدهما يؤيّد الخروج وإعلان الثورة، والآخر يرى أنّ الأمر كان مبكّراً، وأنّ الشعب الفلسطيني غير مهيّأ لإنجاح مثل هذا الأمر، وكان عزّالدين القسّام -رحمه الله- مع الخروج، في حين أنّ خليل عيسى (أبو إبراهيم الكبير) كان يرى تأجيل الخروج لإنضاج الظروف، لكنّ عزّالدين القسّام حسم الأمر وخرج في خريف عام 1935، وخرج معه بعض الرجال يقَدّرون ما بين 15 إلى عشرين شخصاً.

وبقي يتنقّل في أحراش جِنين، ثم حاصره الإنجليز واستشهد في 20 تشرين الثاني(نوفمبر) 1935، كما استشهد معه رجال آخرون، ثم فرّ بعضهم الآخر، وقد فتح هذا الخروج باب الجهاد لكل الفلسطينيّين كما ذكر الوالد، وانفتح بذلك باب مقاتلة اليهود والإنجليز منذ تلك اللحظة ولم يُغلق بعدها.

اعتصم المجاهدون الذين نجوا من الموت في معركة أحراش جِنين مع عزّالدين القسّام بالجبال، واستمرّوا معلنين الثورة على اليهود والإنجليز، فكنت تسمع عن اشتباك بين القوات الإنجليزية المستعمِرة وبين المجاهدين كل أسبوع أو أسبوعين، وعن سقوط قتلى وجرحى واعتقال عدد من الأشخاص، وكان أبرز الذين كانوا يقومون بهذه الأنشطة العسكرية: الشيخ عطيّة، وفرحان السعدي، وأبو إبراهيم الكبير إلخ...، وذكر الوالد أنّ هذه الأنشطة الجهادية كانت متوزّعة في جبال وأحراش نابلس وطولكرم وجِنين والقُدس، وذكر الوالد أنه ذهب في إحدى الفترات من عام 1936، واشترك في القتال في إحدى الجبهات لفترة من الزمن ثم عاد إلى قريته.

-2-

إضراب عام 1936

بدأ الفلسطينيّون إضراباً عام 1936 تأثّراً بسورية التي كانت أضربت فترة من الزمن، واستمر الإضراب ما يقرب من ستة أشهر، وكان الإضراب يتجلّى في مقاطعة الحكومة، وفي عدم التعامل مع اليهود، وانتهى إلى أن يكون عصياناً مدنياً، ويَذكر الوالد أنّ الاتصالات انقطعت بين

المدن والقرى، وتوقّفت حركة الباصات بين المدن والقرى، وامتنعت القرى عن تزويد المدن بما تحتاجه من خضراوات وفواكه وحبوب، وكذلك أضربت المدن، وأغلقت المحلات أبوابها، ممّا أوقع الانجليز في حرج كبير.

ومما زاد الثورة اشتعالاً أنّ النجدة هبّت على الثورة الفلسطينية من الدول العربية المجاورة في عام 1936، فجاء مجاهدون من دمشق في سورية على رأسهم الشيخ محمد الأشمر، وجاء مجاهدون من حماة في سورية وعلى رأسهم سعيد بك العاص، وجاء مجاهدون من لبنان وعلى رأسهم فوزي القاوقجي، وجاء مجاهدون من العراق إلخ...، وكل ذلك زاد في اشتعال الثورة، ومن الجدير بالذكر أنّ جميع أولئك المقاتلين احتشدوا في وسط فلسطين وجنوبها.

حاصرت القوّات الإنجليزية المجاهدين في إحدى المناطق في منطقة جِنين، وكان مع المجاهدين بعض العرب الذين جاءوا لنجدة أهل فلسطين، وكان فوزي القاوقجي على رأس المحاصَرين، ولمّا علمت القرى المجاورة بالحصار المضروب على المجاهدين هبّت لنجدتهم وضربت طوقاً حول القوات الإنجليزية، ممّا اضطرّها إلى فك الحصار عن المجاهدين والانسحاب من المعركة.

-3-

والد الفتى يشعل معركة مع الإنجليز في محيط عكّا

تحدّث الوالد أنّ شمال فلسطين لم تقم به أعمال جهادية مشابهة كما في وسط فلسطين وجنوبها، وبالذات في لواء الجليل و مدينتَيْ صفد وعكّا، فقرّر الوالد تفعيل الشمال وإشعال الثورة فيه، فطلب من إخوانه في (جمعية الجهادية) تأمين عدد من البنادق والرصاص في قرية في محيط عكّا تدعى الكابري، ودعا إخوانه القسّاميّين من صفّورية والقرى المجاورة مثل كُفْر مَنْدا والرينة وعَيْلوط إلخ...، إلى الذهاب إلى تلك القرية في يوم محدّد، وطلب ممن يملك بندقية أن يأخذها معه، ومن لا يملك سيتمكّن من الحصول على بندقية هناك، وبالفعل توجّه عدد من الرجال إلى تلك القرية وحصلوا على بنادقهم، وتوجّه الجميع إلى مكان يبعد 2 كم من ترشيحا باتجاه عكّا، وكان الطريق هناك ضيّقاً فأغلقوه بدُشَم من الحجارة، وتخندقوا على جنبَيْ الطريق، وكان هذا التخندق مع طلوع الشمس، وكان القرويّون من ترشيحا وغيرها يحملون محاصيلهم باتجاه عكّا من أجل بيعها في تلك المدينة، لكنّ المجاهدين ردّوهم، ومنعوهم من الذهاب، وكان أحد الوجهاء في ترشيحا والكابري وهو (فارس سرحان) متوجّهاً بسيارته من ترشيحا باتجاه عكّا، وكان هو

من المتعاونين مع الإنجليز فأطلقوا عليه وعلى سيارته النار وثقبوا طربوشه بالرصاص بشكل مقصود وأصابوا سيارته ولم يريدوا قتله، بل طلبوا منه أن يذهب إلى عكّا ويوصل رسالة إلى الإنجليز وإلى شخص متعاون مع الإنجليز يدعى (المكّاوي) وقد اشتهر بعداوته للثورة، وبإيذائه الشديد للمواطنين، فطلبوا منه أن يذهب ويبلغ المكّاوي بالذات بوجود المجاهدين وقطعهم الطريق، وتحدّيهم له بالمواجهة.

وبالفعل بعد وقت قليل قدم المكّاوي ومعه ما يقرب من أربعمائة مقاتل معظمهم من العرب في عدّة سيّارات، وكانت طائرة إنجليزية قبل ذلك جاءت واستطلعت المنطقة، وزوّدت المكّاوي ومقاتليه بوضعية المجاهدين، ولم تكتشف حقيقة المجاهدين، لأنهم كانوا أخفوا وجودهم حول جانبي الطريق.

وعندما وصل المكّاوي مع جنوده إلى الحاجز الذي أغلق الطريق نزلوا لكي يزيلوا الدُشَم الحجرية وغيرها، وإذا بالنار تفتح عليهم من جانبَيْ الطريق وتقتل عدداً كبيراً منهم، وفرّ المكّاوي هارباً إلى عكّا، واستمرّت المعركة بين المجاهدين والقوّات الإنجليزية إلى قُبيل الغروب بقليل، وكانت الحصيلة مقتل عدد كبير من العملاء العرب المنضوين تحت القوّات الإنجليزية، وعدم إصابة أي شخص من المجاهدين، وبيّن والد الفتى أنّ أهل القرى المجاورة



لمكان المعركة كانوا باستمرار ينقلون لهم الطعام والشراب طوال اليوم، وعندما غربت الشمس وانتهى القتال، ذكر الوالد أنه قفل عائداً إلى قريته صفّورية، وذكر أنه مشى ما يقرب من 12 ساعة من مكان المعركة إلى أن وصل إلى قريته.

-4-

نداء من الملوك والرؤساء العرب

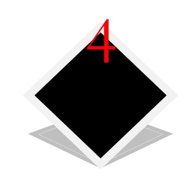
وجّه الملوك والرؤساء العرب في تشرين الأول عام 1936 نداءً إلى الفلسطينيّين بإيقاف الإضراب وإيقاف الثورة، وبالفعل استجابت الهيئات السياسية الفلسطينية وعلى رأسها الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحُسَيْني لنداء الملوك والرؤساء العرب ودعت الفلسطينيّين إلى إيقاف الإضراب، واستجاب الشعب -فعلاً- وتوقّف الإضراب والثورة بعد ذلك.

ووضّح والد الفتى أنّ الثورة التي قامت في عامي 1935 و 1936 كشفت كثيراً من القوى الفاعلة في المجتمع، وكشفت كثيراً من القسّاميين والمتعاطفين مع الثورة، كما كشفت كثيراً من الناس الذين يمتلكون السلاح، وكانت الحكومة الإنجليزية قد رصدت كل ذلك، ودوّنته في أرشيفها وحفظته، لذلك عندما فكّ الشعب الفلسطيني الإضراب، بدأت الحكومة الإنجليزية بملاحقة كل من له ضلع في الثورة ونشاطاتها.

وفي هذه الفترة بالذات التي تقع بين خريف 1936 وربيع 1937، نشط القسّاميّون في تصفية كل العملاء الذين



ثبت تعاملهم مع الإنجليز أو الذين باعوا أرضهم لليهود، أو الذين سمسروا لبيع الأراضي إلخ...، وقد جاء كل هذا بعد فتاوى أصدرها العلماء بتحريم بيع الأراضي، وتجريم من يتعامل مع الإنجليز أو اليهود.



الفصل الرابع

الثورة عام 1937



-1-

أسماء مطلوبة من صفّورية

حكم جنرال إنجليزي يدعى (لويس أندروز) لواء الجليل عام 1937، وكان هذا الحاكم نشيطاً في متابعة المجاهدين ومناصريهم في كل المدن والقرى، وفي اعتقالهم والتحقيق والتضييق عليهم حتى ضجّ الناس منه، وذكر والد الفتى أنّ هذا الحاكم جاء مرّة إلى صفّورية في ربيع 1937، وكان الوالد خارجاً في الصباح إلى أرضهم الزراعية، ممتطياً دابّة من أجل جَنْي محصولهم الزراعي من الكُرْسَنّة والفول وغيره، وإذا به يواجه بالحصار المفروض على القرية، وقد طلب منه الشرطي أن يعود إلى بيته، فعاد على الفور إلى بيته وربط الدابّة، وأخبر أهله بالطَوْق وذهب فاراً واختبأ في مكان بعيد عن الأعيُن، وحسب ما فهم فيما بعد أنّ أندروز كان على رأس هذا الطَوْق المحيط بالقرية، وأنه استدعى مختار القرية (صالح السليم) وطلب منه اجتماع أهل القرية على البيادر، الرجال في جهة والنساء في جهة، ثم حدّد له 60 شخصاً طلب منه إحضارهم، واستطاع المختار أن يجلب له (59) شخصاً من قائمة الستين التي طلبها باستثناء الوالد الذي فرّ وهرب ورفض تسليم نفسه، وقد أوقع هذا الوضع المختار في حرج، وأبقى الإنجليز

صفّ ّورية تحت الإيذاء والمحاصرة، مما اضطر المختار أن يذهب إلى والد أحمد التوبة ويقول له: "عليك أن تسلمني ابنك، وإلاّ فإنّ المحاصرة والتضييق على البلدة سيستمرّان حتى تسلّمني ابنك".

-2-

اجتماع مع الأقارب

وهنا اجتمع أحمد التوبة مع والده وأقربائه الذين طالبوه بتسليم نفسه، لكنه أخبرهم بأنّ عدداً من الأشخاص الذين قادوا التحقيق في قضيّة نَهْلال من مثل: حليم بسطة وأحمد نايف قد قُتلوا، وأنه قد يُتهم بقتلهم، لذلك فالموقف خطير، وهو يفضّل ألاّ يسلّم نفسه، ثم فاوض آل التوبة المختار وحدّثوه بما قاله أحمد التوبة، وهنا تعهّد المختار ألاّ يصيب أحمد التوبة أي مكروه وأنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن ذلك، وهنا سلّم أحمد التوبة نفسه إلى المختار وبالفعل ذهب معه إلى الإنجليز، وهنا نقل الإنجليز أحمد التوبة والمختار في مُصفّحة إلى الناصرة، وبدأ التحقيق مع أحمد التوبة في حضور مختار صفّورية، ثم سأل المحقّق أحمد التوبة عن علاقته باغتيال حليم بسطة وأحمد نايف، فأجاب بأنه لا علاقة له بذلك، ثم سأله المحقّق أين كنت وقت الاغتيال، قال

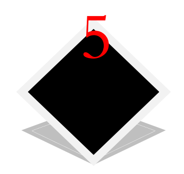
له: "كنت في قريتي"، والتفت الوالد إلى وجه المختار عندما طرح المحقّق عليه هذه الأسئلة، فوجده قد أصبح مصفرّاً كالليمون من شدّة الفزع، وأحس الوالد أنّ المختار اضطرب خشية ألاّ يستطيع الوفاء بتعهّداته التي أعطاها لآل التوبة. وذكر الوالد أنه بقي في السجن ثلاثة أشهر، ثم خرج على أن يستمر في إثبات وجوده يومياً في مخفر الشرطة في صفّورية عند الساعة الثانية عشرة ظهراً، لمدّة ثلاثة أشهر أخرى، واستمر على ذلك المنوال كل هذه الفترة.



الجالسان: من اليمين أحمد التوبة ثم نايف المصلح.

الوقوف: من اليمين محمد محمود غزلان، ثم صالح النصر، ثم محمد أبو زينة.

الصورة أخذت في دمشق عام 1939، وجميع المجاهدين من أهل صفّورية.



الفصل الخامس

اغتيال الجنرال أندروز

-1-

استطلاع وضع أندروز

وبعد أن وقّع والد الفتى آخر توقيع في مخفر القرية في نهاية الأشهر الثلاثة المطلوبة، توجّه في مساء ذلك اليوم إلى حَيْفا، وزار أحد إخوانه القسّاميّين وهو (أبو يحيى) من بلدته صفّورية ومن المقيمين في حَيْفا، وسأله عن اغتيال أندروز حاكم لواء الجليل: "هل جرت محاولات لاغتياله؟" فأجابه: "نعم، قد جرت محاولات لكنها لم تنجح، فقال له: "أريد أن أجرّب حظّي في اغتياله"، ثم سأله: "كيف أحصل على تحرّكاته؟" قال له: "اذهب إلى الناصرة إلى فلان، فهو لديه صورة عن تحرّكاته".

وبالفعل ذهب إلى الناصرة إلى الشخص الذي دلّه عليه، وكان يعرفه، وهو يعمل إماماً في مسجد الناصرة من بلدة اكسال، وسأله عن المعلومات المتوفّرة عنده عن أندروز حاكم لواء الجليل، فأخبره عن مجمل تحرّكاته الأسبوعية، وقد أبرز واقعة في تحرّكاته لفتت انتباه أحمد التوبة، وهي مجيئه إلى الصلاة في الكنيسة كل يوم أحد في الساعة السادسة مساء، وطلب منه أن يريه المكان، وذهبا، ورأى المكان، كانت الكنيسة التي يصلّي فيها أندروز تقع خلف (الكازانوفا) والتي تعني فندقاً باللغة الإيطالية، وكانت

الكنيسة في صدر ساحة تشكّل مصلّباً لأربع طُرُق، كانت الساحة منعزلة عن أسواق مدينة الناصرة، وتقع في إحدى زواياها مدرسة، وفي نهايتها تمتد طُرق جبلية، فأشار الدليل (إمام مسجد الناصرة) إلى المكان الذي تقف فيه سيّارة حاكم لواء الجليل، وبيّن له المسافة التي يمشيها حاكم لواء الجليل إلى مدخل الكنيسة، وذكر أنه يمشي معه مرافقان عسكريّان إلى داخل الكنيسة ويبقى عسكري ثالث داخل السيارة.

وعندما تفرّس والد الفتى في المكان ارتاح قلبه، وانشرح صدره للقيام بعملية الاغتيال لمناسبة المكان وبعده عن الأسواق، فعاد إلى حَيْفا، وأخبر القيادة بأنه سيحاول اغتيال أندروز حاكم لواء الجليل، وطلب منهم إعداد السلاح المطلوب لذلك، وأخبرهم أنه اختار أربعة أشخاص معاونين له في هذه العملية وهم: صالح النصر ومحمد عبدالله السعدي من صفّورية، ومحمد أبو جعب من قباطية قضاء جِنين، وسعد الخالدي من عرب الخوالد الموجودين في محيط الناصرة وصفّورية.

-2-

الاجتماع بالمرشحين لاغتيال أندروز

اجتمع والد الفتى بالأشخاص الذين رشّحهم لعملية الاغتيال، وأخبرهم بالنيّة والمخطّط، فوافقوا على الاشتراك معه في هذا الأمر، واتفقوا على أن يلتقوا في صفّورية في صلاة الظهر في أحد المساجد، ثم ينطلقون من هناك إلى الناصرة، والذي لا يتمكّن مِن الالتقاء مع المجموعة في صفّورية عليه أن يلتقِيَ مع إخوانه في صلاة العصر في مسجد الناصرة.

التقى الخمسة في صلاة العصر في مسجد الناصرة، وطلب الوالد من كل منهم أن يدعو الله بالتوفيق والنجاح في هذه المهمّة، وكان ممّا دعا الوالد الله به ـحسب كلامهـ أنه قال: "اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، وتقبّله منّا"، ثم اشترى كل واحد من المجاهدين جريدة لكي يستفيدوا منها في بعض الأحيان في تغطية وجوههم أو في الإيهام بأنهم يقرأون فيها، وقادهم الوالد لكي يريهم مسرح العملية، ووضّح لهم مكان وقوف سيّارة حاكم لواء الجليل والخطوات التي يمشيها باتجاه الكنيسة، وتفاهم معهم على مكان وقوف كل واحد منهم، وكان الاتفاق على أن يقف الوالد في منتصف الساحة وعلى أن يقف كل مجاهد من المجاهدين في زاوية من زوايا الساحة، وعلى أن يتولّى الوالد اغتيال أندروز، فيما يتولّى المجاهدان من جهة الشمال المرافق العسكري، والمجاهدان من جهة اليمين المرافقين من جهة اليمين، وبعد أن رأى المجاهدون ساحة المعركة

القادمة قفلوا عائدين إلى المدينة، وتجوّلوا في أسواقها ريثما يأتي الموعد.

-3-

وقائع في ساحة اغتيال أندروز

قفل المجاهدون إلى ساحة الكنيسة قبل موعد مجيء حاكم لواء الجليل بنصف ساعة، وأخذ كل منهم المكان الذي تحدّد له في الساحة، وبينما هم واقفون إذا بأولاد صغار يلقون حجراً على نافذة غرفة مطلّة على الساحة، فخرج رجل كهل غاضباً، وبدأ يصيح ويرغي ويزبد ويسب أهل الناصرة، وبأنهم يحتاجون إلى رجال ابن سعود لكي يؤدّبوهم، وكان الأولاد الصغار يقابلون عصبيّته وهياجه وصياحه وسبابه بالضحك والتندّر، وأغلق الباب وانفض الأولاد.

سُرّ الوالد بهذا التجمّع وبهذا الجوّ، لأنه يشكّل تغطية لوجودهم، وستراً على وقوفهم المشبوه، وكانت عقارب الساعة تقترب من السادسة، ومرّت السادسة ولم يأت حاكم لواء الجليل، وخشي الوالد أن ينتبه أحد إلى وجود المجاهدين، وأراد أن يعيد الجوّ السابق لكي يكون ملهياً عن

وجودهم، فطلب من أحد الأولاد أن يلقي حجراً على نافذة الرجل المختل، واستجاب الولد وألقى حجراً، وهنا خرج المختلّ أكثر عصبية وأكثر حدّة وانفعالاً وأكثر هياجاً، وصاح بأعلى صوته: "الله يخربك يالناصرة، الله يجبلك رجال ابن سعود، هاي رجال ابن سعود"، وأشار بيده إلى والدي ورفاقه المجاهدين، ثم أكمل صائحاً: "الله ينصركم يا رجال ابن سعود، هنا سيجري الدم"، وأشار بيده إلى مكان في الساحة المقابلة للكنيسة، وهو -بالضبط- المكان الذي سقط فيه حاكم لواء الجليل مضرّجاً بدمائه.

-4-

تنفيذ اغتيال الجنرال أندروز

سُرّ الوالد بهذا الكلام سروراً كبيراً، وصار قلبه يرقص من شدّة الفرح، واعتبرها بشرى من الله بالنجاح، وبعد دقائق وصلت سيارة حاكم لواء الجليل، ونزل منها ثلاثة رجال يلبسون بدلات بيضاء، ونزل حارسان وأخذا وضعية الاستعداد، ومشى أحدهما بجوار أندروز، وبقي الآخر واقفاً يحرس السيّارة، ركّز والد الفتى بصره عليهم، وجعل بصره يمشي معهم، وقدّر أنّ الجنرال أندروز هو الذي يمشي في وسط الثلاثة حيث لم يكن قد رآه من قبل، وبعد أن مرّوا من أمامه، وأداروا ظهورهم له، أخرج مسدّسه وأطلق النار على أندروز فأرداه قتيلاً، وتناول أصحابه المجاهدون الأشخاص المحيطين بأندروز حسب الاتفاق، فسقط العسكري المرافق قتيلاً أيضاً، وفرّ الرجل الثالث باتجاه الكنيسة، ودخل بابها واحتمى بجدرانها، وأخذ يطلق النار على الوالد والمجاهدين، ثم جاء المجاهدان الواقفان من جهة اليسار وأكملا الإجهاز على أندروز ومرافقه العسكري، وخردقوهما بعدد من الطلقات وتأكّدا من قتلهما، وأخذ الوالد والمجاهدان اللذان من جهة اليمين بمشاغلة الإنجليزي الذي دخل الكنيسة، واستمرّوا في تبادل

إطلاق النار معه، وكانت سيّارة الحاكم قد فرّت عائدة إلى معسكرها بعد أن بدأ إطلاق النار، ثم تقدّم البدوي سعد الخالدي من المقتول أندروز وأراد أن ينزع منه مسدّسه لكنّ الوالد منعه خشية أن يقع المسدّس فيما بعد بأيدي السلطات الإنجليزية، ثم يتعرّفوا على المجاهدين الذين اغتالوا أندروز.

فرّ المجاهدون صاعدين في الجبال المحيطة، ولمّا صاروا بعيداً عن ساحة الاغتيال، هنّأ بعضهم بعضاً، وقفل كل منهم راجعاً من طريق إلى بلدته، وكان هذا الاغتيال مساء يوم 1937/9/26.

-5-

العودة إلى صفّورية

وصل الوالد إلى بلدته صفّورية في ظلمة الليل بعد أن قفل ماشياً، وكان له عم يسكن في أطراف صفّورية في منطقة تسمى (السِدْر) يدعى (عبدالرحمن)، وطرق عليه الباب، فلمّا عرف أنه ابن أخيه أحمد التوبة، صاح به: "ما الذي جاء بك الآن؟ البلد مخبوطة

ممتلئة بعسكر الإنجليز"، وطلب منه أن يسرع بالهرب خوفاً عليه من إيذاء الإنجليز لمعرفته بماضيه وطلب الإنجليز المستمر له، وهنا سأل أحمد التوبة عمّه: "ما الخبر؟" فقال له: "يقولون إنّ أندروز حاكم لواء الجليل قد اغتيل"، وهنا ذهب الوالد واختبأ في أحد التلال المحيطة بصفّورية بحيث يرى ما يحدث فيها ولا يُرى هو، ووضع رأسه ونام إلى أن طلعت الشمس، واستمر يراقب حركة الإنجليز حتى جلا الإنجليز عن صفّورية بعد أن اعتقلوا عدداً من أهلها.

-6-

نتائج اغتيال أندروز

بلغ عدد المعتقلين نتيجة حادثة الاغتيال في فلسطين كلّها ما يقرب من 15 ألف شخصاً حسب قوائم كانت معدّة مسبقاً، وذكر -كذلك- أنّ الاغتيال كان له وقع الزلزال في كل أجهزة الدولة الإنجليزية، وذكرت عدد من المصادر أنّ اغتيال أندروز فجّر الثورة الفلسطينية مرّة ثانية، وقد كتب ذلك عدد من المؤرّخين لقضية فلسطين من أمثال: أكرم زعيتر ومحمد عزة دروزة.

سقطت ابنة أندروز ميتة عندما بلغها نبأ اغتيال والدها في فلسطين، وقد أشعل اغتيال أندروز الثورة في

فلسطين من جديد، وقسّمت القيادة السياسية فلسطين إلى مناطق، وسمّت بعض الأسماء كقيادات لها ومن هذه الأسماء: حسن سلامة، وعبدالقادر الحُسَيْني إلخ...، ومما زاد في اشتعال الثورة مجيء السلاح من سورية.

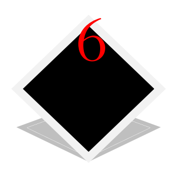
-7-

تهنئة من القيادة

أرسلت قيادة جمعية الجهادية في حَيْفا شخصاً إلى صفّورية والتقى بالوالد، وأبلغه تهنئة القيادة له على شجاعته في اغتيال أندروز وشكرهم له، وأنهم يقولون له: "ما الذي تريده جزاء ذلك؟" فقال لهم: "نحن نفّذنا ذلك في سبيل الله، ولا نريد إلاّ القبول من الله، وانتصار أمّتنا على أعدائها"، ألحّ عليه الرجل فقال له: "والدي يشرب الدخان ويشرب القهوة، وهو قد بدأ يبدي الضيق بسبب كثرة انشغالي بالأعمال الجهادية وعدم مساعدتي له في رعاية أرضنا الزراعية، وأريد أن أرضيه، فأريد فقط خمسة جنيهات، سأشتري بقسم من هذا المبلغ دخاناً وقهوة لوالدي، وسأُبْقي الباقي من أجل الطوارئ، إن احتجت للسفر وللمبيت خارج البيت عند الاختباء من الإنجليز".



المجاهد أحمد التوبة يمتطي صهوة حصانة أثناء جهاده في شمال فلسطين.



الفصل السادس

جهاد والد الفتى في شمال فلسطين

-1-

معركة مع خيّالة الجيش الإنجليزي

اجتمع حوالي 300 مجاهد في شمال فلسطين بقيادة أبو إبراهيم الكبير الذي كان يعتبر خليفة القسّام في قيادة تنظيم الجهادية، وعمل والد الفتى مساعداً له في هذا الفصيل، وكان ينوب عنه عند غيابه، وكان الفصيل يملك بعض الخيول والدواب التي يتنقّلون عليها من منطقة إلى أخرى، وكان أهل القرى يساعدونهم ويمدّونهم بالطعام والشراب، وحدث أنّ اصطداماً وقع مع قوّات الحدود التابعة للحكومة الإنجليزية عند سَخْنين وعَرّابي في منطقة عكّا، وكانوا يبلغون (200) خيّالاً، ووقعت بين الطرفين معركة ضخمة، وساعدت ثلاث طيّارات قوّات الحدود، وكان يجتمع عدّة مقاتلين، كانوا يجمعون بنادقهم إلى جانب بعضها البعض لتشكّل كتلة نيران عند الإطلاق، وكانوا يصوّبون هذه النيران إلى الطائرة إمّا في حال قدومها للقصف، أو في حال رجوعها بعد إنهاء القصف، واستطاع المجاهدون إسقاط إحدى الطائرات بهذه الطريقة.

كانت حصيلة المعركة أن استشهد شخص واحد من المجاهدين، وجرح ثلاثة أشخاص، أحدهم: نايف المصلح من صفّورية وصديق الوالد، وتم بعد ذلك إرسال المجاهدين

المجروحين إلى دمشق لكي يتمّوا معالجتهم، وغنم المجاهدون ثلاثة أحصنة وبعض السيوف مِن قوّات الحدود الإنجليزية، ولم تَعُد تلك القوّات للقتال مرّة ثانية بسبب القاسية.

كانت الأحصنة التي غنمها المجاهدون مدرّبة تدريباً خاصّاً، وذكر الوالد أنه امتطى أحد الأحصنة في شعاب الجبال، وعندما وصل إلى أحد الحواجز إذا بالحصان يجمع جسمه ويتأهّب للقفز، ثم قفز بعد ذلك فوق الحاجز مع أنه كان مرتفعاً، وكان الوالد يجهل قدرة الحصان على ذلك، وتفاجأ بذلك وكاد يقع الوالد من على ظهره، لكنه استطاع المحافظة على توازنه، لكنه أصبح على رقبة الحصان، ولمّا عرف تلك القدرة مِن الحصان أصبح يتأهّب معه قبل أن يقفز عندما يصل إلى أي حاجز يريد أن يتخطّاه.

-2-

في منطقة "القديرية"

انسحب المجاهدين إلى منطقة (القديرية) في سفح جبل كنعان في محيط صفد، ونزلوا في ضيافة عرب القديرية (بدو القديرية) قريباً من منطقة (جب يوسف)، وذكر الوالد أنهم في يوم من فصل الشتاء في شهر كانون

الأول، بينما كان الوالد يراقب المنطقة المحيطة بمكان نزولهم بالناظور بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس وإذا به يرى عن بعد حركة أشخاص مريبة، فدقّق النظر، وإذا بها حركة جنود الجيش الإنجليزي يتقدّمون باتجاه المجاهدين، وهنا نبّه الوالد أبا إبراهيم الكبير إلى القوّات الإنجليزية المهاجمة، فطلب أبو إبراهيم الكبير من المجاهدين أن يتبرّع ستّة أشخاص بالتصدّي لتقدّم القوّات الإنجليزية وإيقافهم ريثما يرتّب المجاهدون أمورهم، ويتحصّنون في أماكن مناسبة لمواجهة زحف القوّات الإنجليزية. وفعلاً انتخى ستّة مجاهدين، وأقاموا في أحد الأمكنة في مواجهة القوّات الإنجليزية، وصعد المجاهدون سفح الجبل على بعد مائتي متر لمواجهة القوّات المهاجمة، وتحصّنوا فيه، وأخذوا أماكن مناسبة، وبدأوا إطلاق النار على القوّات الإنجليزية، وهنا طلب أبو إبراهيم الكبير من الوالد أن يذهب ويطلب من المجاهدين الستّة أن ينسحبوا من موقعهم، لأنهم نجحوا فعلاً في إيقاف تقدّم القوّات الإنجليزية، ولمّا اقترب الوالد منهم وجدهم يكبّرون ويصيحون، ولم يستطع الوصول إليهم بسبب تطويق القوّات الإنجليزية لهم، واضطر الوالد للعودة إلى معسكر المجاهدين، وفي طريق عودته انتبهت له القوّات الإنجليزية فبدأوا إطلاق النار عليه، ولمّا اقترب من مواقع المجاهدين، بدأ المجاهدون إطلاق النار عليه ظناً منهم أنه من القوّات المعادية، فوقع بين نارَيْن، قوّات الإنجليز من جهة وقوّات

المجاهدين من جهة ثانية، ولكنّ المجاهدين عرفوه فيما بعد فأوقفوا إطلاقهم عليه، وفي هذه الأثناء اكتشفت طائرة إنجليزية حركته، فبدأت إطلاق النار، وركض باتجاه شجرة ذات جذع ضخم ليختبئ وراءه، وبالفعل احتمى بجذع الشجرة وتناثر الرصاص تحت قدميه وأنجاه الله من شر الطائرة، ووصل إلى معسكر المجاهدين، وأخذ موقعه في المعركة.

استمرّت المعركة إلى غروب الشمس، ثم انسحبت القوّات الإنجليزية إلى طبريّة عن طريق صفد، وعندما ذهب بعض المجاهدين لرؤية المجاهدين الستّة وجدوهم مستشهدين، والإصابات كلها في وجوههم وصدورهم وتدل على أنهم كانوا في إقبال على العدو وليس في إدبار، ووجد المجاهدون أنّ الإنجليز قد لغّموا المنطقة المحيطة بالشهداء الستّة لكي يوقعوا قتلى آخرين من المجاهدين، ولكنّ الله أنجى المجاهدين، وانتبهوا إلى الألغام وتحاشوها.

-3-

نتائج المعركة

استشهد ثلاثة مجاهدين آخرين في هذه المعركة، وكانت القوّات الإنجليزية المهاجمة في حدود عشرة آلاف جندي في حين أنّ المجاهدين كانوا في حدود 300 مجاهد،

وسمع الوالد أنّ إذاعة لندن أثنت على القوّات الإنجليزية التي قاتلت المجاهدين لأنها قاتلت في فترة أعياد الميلاد، حيث وقعت هذه المعركة في 27\12\1937، وذكر الوالد أنه كان مع القوّات المجاهدة راديو كبير، كان يشتغل على بطارية، وسمعوا هذا الكلام من الإذاعة، وذكر الوالد أنهم رأوا بقع دم على الأرض في بعض الأماكن بعد انسحاب القوّات الإنجليزية ممّا يدل على وجود جرحى وقتلى بينهم، لكنهم لا يعرفون عددهم بالضبط.

ذكر الوالد أنه بعد هذه المعركة قرّرت القيادة الانسحاب إلى الشام، وإنهاء هذا التجمّع الجهادي، فذهب الوالد مع أحد عشر مجاهداً إلى الشام، وحملوا معهم الجرحى الثلاثة، أمّا بقية المجاهدين فقد عادوا إلى قُراهم وإلى حياتهم العادية ريثما تنتهي فترة الشتاء القاسية فتتم دعوتهم إلى مواصلة الجهاد مرّة ثانية، وذكر الوالد أنهم ذهبوا إلى الشام ونزلوا في ضيافة الشيخ محمد الأشمر.

-4-

إلى ساحة الجهاد في قضاء عكّا

ارتاح المجاهدون شهراً في الشام، ثم قرّر الوالد العودة إلى الجهاد بالتنسيق مع القيادة في دمشق، ونزل إلى

شمال فلسطين في منطقة دير أبو القاسي في شهر شباط من عام 1938، ومن هناك أرسل إلى أصحابه المجاهدين الموجودين في القرى المختلفة، واجتمع ما يقارب من (300) مجاهد، فقرّروا الانقسام إلى فريقَيْن:

الأول: يجاهد في شمال قضاء عكّا بين سُحْماتا و مَعْلِيّا .

الثاني: يجاهد في جنوب قضاء عكّا بين سَخْنين وعَرّابي، وكان كل فريق في حدود (150) مجاهداً، وقاد القسم الأول شخص يدعى عبدالله الأصبح من أهل منطقة عكّا نفسها، وقاد الوالد القسم الثاني.

وكان سعد الخالدي البدوي الذي شارك الوالد في عملية اغتيال أندروز موجوداً مع القسم الأول، وذكر الوالد أنّ هذا القسم حاصره الإنجليز، ومن البطولات التي نُقلت عن سعد الخالدي أنه صعد شجرة وبدأ يدعو أصحابه المجاهدين للاستبسال في مواجهة الإنجليز، وكان يطلق النار على القوّات الإنجليزية وهو على أعلى هذه الشجرة، حتى استشهد رحمه الله في هذه المعركة.

وقد أحكم الإنجليز طوقهم على المجاهدين في هذه المنطقة، ووصل خبر الطوق إلى قوّة المجاهدين التي كان يقودها الوالد في منطقة سَخْنين وعَرّابة، لكنهم لم يستطيعوا

نجدتهم لبُعد المكان، وانتهى أمر هذه القوّة المجاهدة بين أسر وقتل وهرب.

لكنّ المجاهدين في المنطقة الجنوبية في منطقة سَخْنين وعَرّابة استمرّوا في التواجد وتحدّي القوّات الإنجليزية. وكانوا يتنقّلون من منطقة إلى أخرى في تلك المناطق الجبلية وعرة المسالك المملوءة بالأشجار والأحراش، وكان الإنجليز يأخذون معهم في قوّاتهم بعض المساجين كدروع بشرية يضعونهم في مقدّمة رتل المصفّحات والسيارات التي يسيّرونها، ليكونوا أول من يقتل عند أول مواجهة مع قوّات المجاهدين، لذلك كان المساجين الأسرى وهم على هذا الحال يغنّون فيقولون:

على دلعونا على دلعونا
السيارة الأولى لا تضربونا

وفي تلك الأغنية تنبيه للمجاهدين على عدم إيقاع القتل فيهم.

-5-

خطة جديدة للتضييق على المجاهدين

اتبعت القوّات الإنجليزية خطّة جديدة من أجل محاصرة قوّات المجاهدين، تقوم على مرابطة قوّات إنجليزية بصورة دائمة فيما يقرب من أربعين قرية من قرى منطقة (سَخْنين وعَرّابة) ممّا جعل المجاهدين لا يجدون مأوى أو مكاناً لبياتهم، ولا يجدون طعاماً، لأنّ مرابطة القوّات الإنجليزية في معظم القرى حال بين هذه القرى وبين مساعدة المجاهدين، وكان الطقس شتاء، والمناطق ذات طقس بارد وقارس بسبب كونها جبلية، ممّا اضطرّ قوّات المجاهدين للبيات في العراء، وجعلها تعاني صعوبات في تأمين الطعام وتأمين المبيت، وقد ذكر الوالد أنّ هذا الوضع اضطرّ القيادة أن تتخذ قراراً بإنهاء هذا التجمّع الجهادي، والطلب إلى من يستطيع العودة إلى قريته أن يذهب، أمّا الذي لا يأمن على نفسه في بلده فيمكنه الذهاب إلى دمشق.

-6-

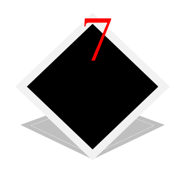
محاولة لتجاوز الحدود اللبنانية

تحرّك الوالد مع ثلاثة أشخاص باتجاه بنت جبيل في لبنان، ليذهب من هناك إلى دمشق، وكان الإنجليز قد سيّجوا الحدود بشريط مكهرب من الأسلاك الشائكة، كما كانت سيّارات مصفّحة تتحرّك باستمرار على طول الحدود

الفلسطينية مع لبنان كدوريات من أجل منع أي تنقّل بين الطرفين، وكان من أجل الانتقال إلى بنت جبيل لابد من فتح البوّابة المغلقة التي كانت تفصل لبنان عن فلسطين، وعندما وصل الوالد وأصحابه إلى قرب بوّابة بنت جبيل مرّت سيّارة مصفّحة فاختبأوا، وبعد أن ذهبت الدورية بعيداً طلب الوالد من أصحابه أن يبقوا ليذهب ليفتح البوّابة، ثم يعطيهم الإشارة بالمجيء، لكنّ أحد المجاهدين وهو شركسي من القنيطرة في سورية، أصرّ على أن يكون هو الذي يفتح البوّابة، ورفض أن يذهب الوالد، وتنازع مع الوالد بهذا الخصوص، وأصرّ على أن يذهب لأنه خبير بإزالة الألغام من الأرض، والتحق بالمجاهدين في فلسطين من أجل مساعدتهم في هذا الأمر، وهنا أذعن الوالد بعد إصراره، وتحرّك الشركسي باتجاه البوّابة، وعندما وصل إليها حاول أن يفك السلك الذي ربط بين شقّيْ البوّابة، إذا بانفجار يحدث ويطرحه على الأرض، ويقع مضرجاً بدمائه، فقد كانت البوّابة ملغّمة، فذهب الوالد ومن معه وحملوا الشركسي المصاب، ودخلوا به إلى لبنان، لكنّه فارق الحياة، ومضى شهيداً إلى ربّه، ثم وصل الوالد دمشق وأقام فيها فترة من الزمن.



منظر عام لقرية صفّورية عام 1948، وتبدو القلعة في أعلى الصورة.



الفصل السابع

واقعة (قرية تمرة)

-1-

جمع المال من أهل (قرية تمرة)

قرّرت قيادة المجاهدين أن تطلب من كل قرية مبلغاً من المال، يجمع من أهلها، ويعطى لقيادة الثورة من أجل شراء بعض البنادق والذخيرة لهذه القرية، وقرّرت -كذلك- أن تطلب من كل قرية أن تفرز عدداً من شبابها للانضمام إلى كتائب المجاهدين، والأمران: المبلغ المالي وعدد المجاهدين المطلوبين مرتبطان بالعدد السكاني للقرية، وهو يختلف بين قرية و أخرى.

ذهب الوالد مع خمسة من رفاقه المجاهدين إلى قرية تمرة التي تقع في منطقة عكّا في شهر نيسان (أبريل) من عام 1938 مِن أجل تنفيذ قرار القيادة العليا للمجاهدين بجمع المال مِن أجل شراء السلاح للقرية، وبتحديد عدد الشباب الذين ستفرزهم القرية مِن أجل الانضمام إلى القوّات الجهادية، وكان الوالد ورفاقه الخمسة الآخرون يحمل كل منهم بندقية وجنادين من الذخيرة قد لبسهما على صدره.

-2-

طوق إنكليزي حول القرية

سهر المجاهدون مع أهل القرية في ضيافة أحد المخاتير واتفقوا على ما هو مطلوب منهم، من المال والرجال، ثم نام الخمسة في ضيافة المختار، وذهب المجاهد السادس ليبيت عند أحد معارفه، وأفاق الوالد مبكّراً كعادته، وأحسّ أنّ كلاب القرية تعوي وتنبح بشكل غير طبيعي، ورأى هناك ضياء شديداً قرب القرية آتياً من (لوكسات)، ثم رأى في الجهة الشرقية من البلد طلقة نار خضراء، ثم طلقة نار بيضاء، وهي إشارات تتبادلها القوات العسكرية ذات دلالات معيّنة فيما بينها، ثم عرف فيما بعد أنّ هناك طوقاً ضربه الإنجليز حول القرية.

-3-

دراسة الخيارات

جاء وجهاء القرية والمخاتير واجتمعوا مع المجاهدين الخمسة، وأخبروهم بخبر الإنجليز، هنا اقترح الوالد أن يفتح المجاهدون ثغرة في الطوق عن طريق القوّة ومن خلال المواجهة مع القوّة الإنجليزية لكي يتمكّنوا من الهرب، لكنّ المخاتير والوجهاء رجوا الوالد ألاّ يفعل ذلك لأنّ نتيجة ذلك إنزال أكبر الأذى وأشدّه بالقرية وأهلها، وتعهّدوا أنهم سيدبّرون الأمر، وسيعطونهم أسماء لأشخاص

غائبين من أهل القرية، وأعطوا الوالد اسم (عبد الله إبراهيم المجذوب)، وهنا رضخ الوالد لهذا الرأي، وما جعله يسلّم بهذا الرأي هو أنّ مجاهداً واحداً وقف إلى جانبه في حين عارضه ثلاثة مجاهدين في الحوار الذي جرى بينهم عند مناقشة اقتراح الوالد بكسر الطوق الإنجليزي بقوّة السلاح.

وكان الوالد ورفاقه الأربعة الآخرون قد حاولوا الخروج من الطوق مرّتَيْن دون قتال لكنهم لم يستطيعوا. هنا استسلم الوالد للأمر الواقع وحلق لحيته، وحفر هو ورفاقه حفرة خبّأوا فيها أسلحتهم، وكان مناد قد أعلن وطلب من الناس أن يخلوا بيوتهم، ويجتمعوا على البيادر، وأن يتركوا أبواب بيوتهم مفتوحة.

-4-

لابد من تعريف

وعندما ذهب الوالد مع بعض المخاتير والوجهاء إلى البيادر، وجدوا أنّ أحد المخاتير وهو (المختار جاد) قد أخذه الإنجليز منذ الصباح وفصلوه عن كل ما يجري في القرية، والمطلوب منه أن يعرّف على كل رجل في القرية، أمّا الذي لا يعرّف عليه فهو غريب ويحجز، وكان يمر كل رجل أمام مسجّل، يذكر فيها اسمه فيعطيه ورقة باسمه، يحملها ثم

يعطيها لجندي بجانب المختار، ثم يُسأل المختار عن اسم الشخص، فيذكر المختار اسمه، فإذا كان متطابقاً مع ما في الورقة نجا الشخص، وإلاّ فإنه يحجز. عندما رأى المخاتير والوجهاء المختار جاد محجوزاً أُسقط في أيديهم، وأحسّوا أنّ كل مخطّطهم في إنجاء المجاهدين قد أُحبط، وسلّموا الأمر حينئذ لله.

-5-

اسم جديد ... ومواجهة

عندما جاء الوالد إلى البيادر رأى رفاقه الخمسة محجوزين مع أناس غرباء، وأنّ رفيقهم المجاهد السادس الذي ذهب ليبيت عند أحد معارفه محجوزاً وهو يرتدي بزّته العسكرية ويضع على صدره جنادات الرصاص، ووجد أنّ نصف القرية قد أمكن التعرّف عليها، وبقي النصف الآخر، فتوكّل على الله، ووقف في الدور، ومشى به الدور، حتى وصل إلى الكاتب الأول، وأملى اسمه (عبد الله إبراهيم المجذوب) وحمل الورقة ومضى في الدور حتى وصل إلى الطاولة الثانية وأعطى الورقة للعسكري الجالس، وهنا سُئل المختار عن هذا الرجل، فالمختار يعرف أنه المجاهد أحمد التوبة، فصمت قليلاً، هنا نطق الوالد اسمه فقال: "عبدالله

إبراهيم المجذوب"، وعندما خرجت هذه الكلمة من الوالد وصف الموقف فذكر أنّ الضابط الإنجليزي غضب غضباً لم ير أحداً غضب مثل ذلك الغضب في حياته، فأرغى وأزبد، وبدأ يشتم الوالد، واحمرّ وجهه، وانتفخت أوداجه، ووجّه المسدس إلى رأسه يريد إفراغ رصاصه فيه، كما هجم عليه المجنّدون الواقفون حول الضابط الإنجليزي، ووجّهوا حربات بنادقهم إلى صدره، ثم توجّه بالسؤال إلى المختار عن اسمه مرّة ثانية فقال لهم: "عبدالله إبراهيم المجذوب"، هنا طلب الضابط الإنجليزي من الوالد أن يذهب بعد أن ركله بقدمه، واستمر في شتائمه وانفعاله وهياجه.

-6-

نجاة وجلوس بين أهل القرية

جلس الوالد بين رجال أهل القرية الناجين، وهنا خمّن الوالد أنّ هذا الضابط قد يعود ليسأله أين عمّك من أهل القرية؟ أين خالك؟ أين ابن عمّك؟ ...، وهنا اتجه الوالد إلى أهل القرية ليعرّفوه على أقاربه، فبدأ أهل القرية يهمسون له: "هذا عمّك اسمه كذا ...، هذا خالك اسمه كذا ...، هذا ابن عمّك اسمه كذا ..."، وعندما حانت الساعة العاشرة أراد الضابط الإنجليزي أن يرتاح فترك مكانه لضابط آخر

وذهب إلى جهة أخرى من المعسكر الذي نصبه الإنجليز، وهنا اطمأن الوالد قليلاً، وعند الظهيرة تقريباً انتهى الإنجليز من مهمّتهم، وكان عدد الغرباء الذين احتجزهم الإنجليز في القرية (18) منهم خمسة مجاهدين رفاق الوالد، وذكر الوالد أنّ الخمسة أُعدموا فيما بعد، ومنهم رجل يدعى عارف كان بليغ اللسان في الدعوة للثورة والجهاد، والراجح أنه كان متعلّماً تعليماً عالياً.

-7-

معركة مع الإنجليز

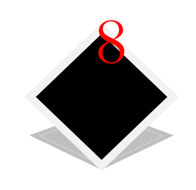
هرب شخص من أهل قرية تمرة قبل أن يستحكم الطوْق، وذهب إلى القرى المجاورة وأخبرهم بأنّ القوّات الإنجليزية قد أطبقت على تمرة وأنّ هناك قيادات مجاهدين قد حوصرت، وأنهم بحاجة إلى نجدة، وجاء رجال يحملون السلاح من مختلف القرى المجاورة، وبعد أن أتمّت القوّات الإنجليزية انسحابها، ذهب الوالد واستخرج سلاحه الذي كان طمره في حفرة في القرية، وبدأ إطلاق النار على القوّات المنسحبة مع من جاء من القرى المجاورة، وكانت القرية في مرتفع والقوّات المنسحبة في منخفض، ثم جاءت

قوّات إنجليزية أخرى للنجدة، وامتدت المعركة على طول كيلو متر واحد، واستمرّت حتى غروب الشمس.

وأوضح الوالد أنّ الإنجليز في هذه الفترة التي طوّقوا فيها تمرة كانوا قد وضعوا جائزة تبلغ مائة جنيه فلسطيني لمن يلقي القبض على أحمد التوبة، أو لمن يساعد في إلقاء القبض عليه.



صورة المجاهد أحمد التوبة في مكّة المكرّمة عند لجوئه السياسي للمملكة العربية السعودية أثناء الحرب العالمية الثانية.



الفصل الثامن

ملاحقات وتنقّلات

-1-

اعتقال المجاهد في دمشق

خطب المجاهد بنتاً من بلدته صفّورية في عام 1937، من عائلة الأشراف الذين ينتمون لآل البيت، ثم تزوّج في عام 1938 في دمشق، وذكرت والدة الفتى أنّ الفرنسيّين في عام 1939 حاصروا البيت الذي كانوا يسكنونه في منطقة الميدان في مدينة دمشق واقتحموه، وكان بيتاً عربياً كبيراً، وكانت ساحة البيت مملوءة بأحذية وبزّات ومُؤَن للمجاهدين، وكان في البيت عدد من المجاهدين الذين جاءوا من فلسطين إلى دمشق ليرتاحوا، وعندما دخلوا إلى البيت، اقتحموا غرفة نوم الوالد واقتادوه إلى ساحة البيت، وأوقفوا حارساً بجانبه، وكان هناك مسدّس في غرفة النوم، فذكرت الوالدة أنها أخذت المسدّس و تزنّرت به على وسطها وحملت الفتى حيث كان عمره أشهراً محدودة، وغطّت به المسدّس، وكان في الغرفة المجاورة ينام عم الوالد وزوجته اللذان جاءا مِن فلسطين إلى دمشق ليزورا ابن أخيهما وليتعالجا فيها، ولمّا دخل الفرنسيّون إلى الدار دخلوا إلى الغرفة، لكنّ زوجة العمّ صحت مذعورة من دخولهم، وصاحت في وجه الجنود الفرنسيّين، ودفعت العسكري الذي دخل الغرفة بقوّة فأوقعته أرضاً في زاوية الغرفة، واستمرّت

في الصياح مندّدة بقلّة أدبهم، وعدم مراعاتهم لحرمات البيوت، داعية عليهم بالهلاك والدمار، مما اضطرّهم للخروج وإعطائها الفرصة لارتداء ملابسها، وذكرت الوالدة أنها جاءت إليها ورأتها تحمل وليدها الصغير، وكانت الوالدة مرعوبة، فكانت قد أسندت رجلها إلى تنكة زيت في الغرفة، وكانت هذه التنكة تهتز باهتزاز رجل الوالدة بسبب اضطرابها، فتخرج صوتاً مستمراً مسموعاً، وكان الجندي الفرنسي يضحك لهذا الاضطراب، فطلبت زوجة العمّ أن تحمل الوليد منها لتريحها، لكنّ الوالدة رفضت لأنها تريد أن تجعل الطفل ستاراً للمسدّس المخبّأ في وسطها، ودخل الضابط إلى غرفة نوم الوالد ورأى صورة للوالد يحمل في وسطه مسدّساً، وطلب هذا المسدّس, فأخبره أنّ هذا المسدّس كان من عند المصوّر الذي التقط الصورة, والحقيقة أنه المسدّس الذي كانت تخبّئه الوالدة في وسطها, وتتزنّر به, وتضع وليدها ستاراً عليه، وكان هذا المسدّس ذا قبضة فضية وكان هديّة للوالد.

ثم اقتاد الفرنسيّون أحمد التوبة والرجال الموجودين في ضيافته, وصادروا البضاعة الموجودة, كما وجدوا كمية من الأموال أخذوها كذلك, وذكر الوالد أنهم حقّقوا معه, وضربوه أثناء التحقيق واستخدموا معه الكهرباء من أجل إجباره على الاعتراف, وركّز الوالد على أنه تاجر بين الشام وفلسطين, وأنه لا علاقة له بالثورة والمجاهدين, ثم خرج

بعد عدّة أيام وقد آذوه إيذاء شديداً وقد ظهرت علامات التعذيب على جسده.

ونقلت والدة الفتى أنّ الحاج أمين الحُسَيْني أشاد بزوجة العمّ التي دفعت الضابط الفرنسي وألقته أرضاً, وطلب من نساء فلسطين أن يتخذنها قدوة, وكان يذكرها في أحاديثه التي يوجّهها لكل أبناء فلسطين.

-2-

المجاهد في العراق

اضطر المجاهدون للانتقال إلى العراق بعد بداية الحرب العالمية الثانية، وهناك أقاموا مع الحاج أمين الحُسَيْني, وكانوا يذهبون ليصطافوا في المنطقة الكردية في شَقْلاوة, وجاء الولد الثاني للمجاهد في بغداد, وذكر الوالد أنّ المجاهدين نظّموا أنفسهم في بغداد, وحاولوا الاستفادة من وقتهم, ففتحوا فصولاً للتعليم, وأتقن الوالد اللغة العربية في هذه الفترة, وتعلّم النحو بشكل جيّد, ثم لمّا قامت ثورة رشيد علي الكيلاني عام 1941 على الحُكم الملكي والإنجليز لصالح الألمان, ناصر الحاج أمين الحُسَيْني الثورة، لكنّ الإنجليز نجحوا في القضاء على الثورة، وأعادوا عبدالإله

ونوري السعيد والعائلة الهاشمية إلى السلطة، هنا فرّ الحاج أمين الحُسَيْني, وذكر الوالد أنهم اعتقلوا معظم الفلسطينيّين الموجودين لأنهم عاونوا رشيد علي الكيلاني, وعذّبوهم واتهموهم بالخيانة.

-3-

المجاهد في حِمْص

بعد ذلك فرّ الوالد من العراق إلى سورية بعد أن أخذ عائلته معه، وعاش في حِمْص, واختبأ هناك لأنه كان مطلوباً من الفرنسيّين, وكان أنصار الحزب الوطني هم الذين ينقلونه كل فترة إلى بيت, وكان (عبدالله الجندلي) هو الشخص الذي يشرف على تنقّلاته, ثم توصّلت المخابرات الفرنسية إلى مكان اختباء الوالد فاعتقلته وسلّمته إلى السلطات الإنجليزية في فلسطين.

ثم جاء شقيق الوالد ونقل زوجة المجاهد وولدَيْه إلى صفّورية في فلسطين.

-4-

هروب المجاهدين من سجن عكّا



سجنت السلطات الإنجليزية الوالد في سجن عكّا الكبير، وحشرت معه في هذا السجن الكبير كل المجاهدين الذين اعتقلتهم، بانتظار انتهاء الحرب العالمية لمحاكمتهم, وهناك التقى الوالد بعدد كبير من أصحابه المجاهدين, وكان الإنجليز يعتبرونهم سجناء سياسيّين, لذلك زوّدوا السجن بكل ما يحتاجونه من أدوات رياضة وصحف للمطالعة ومتابعة الأخبار إلخ..., وكان السجن محاطاً بأسلاك شائكة مكهربة, وكانت فيه أبراج مراقبة يعتليها حرّاس مسلّحون, وفكّر الوالد أن يهرب من السجن, فاتفق مع عدد من أصحابه على ذلك, ووضعوا خطّة لذلك, وطلبوا مقصّاً فجاءهم المقص في داخل خروف محشي, وتم الاتفاق مع أحد الحرّاس المناوبين على أن لا يُطلق النار عليهم وهم يحاولون الهرب, وبالفعل في أحد الليالي تم الاتفاق على الهرب, وخرج المجاهدون, وقصّوا الأسلاك الشائكة وفتحوا ثغرة فيها, ثم هربوا, وقد أطلق جرس الإنذار رنيناً قوياً, وبدأ الحرّاس بإطلاق النار, لكنّ الحارس الذي اتفقوا معه وفىّ بوعده وأطلق النار بشكل بعيد عنهم لكي لا يصيبهم, وفي النهاية تم هرب عدد من الأشخاص, ثم فرّ كل منهم إلى جهة مختلفة.

وصل الوالد إلى بلدته صفّورية متخفّياً, وصار ينام كل ليلة في أحد بيوت أصحابه وأصدقائه, وكانت عائلة

(موعد) من العائلات الكبيرة في صفّورية، والتي كان لها نصيب كبير في إخفائه، وبدأ الإنجليز البحث عنه, فكانوا يطرقون بيتنا بين حين وآخر ويسألون الوالدة عنه, ويذكر الفتى واقعة مخيفة مازالت محفورة في ذهنه وهي أنّ دورية إنجليزية فاجأت البيت بعدد مِن الخيول والوالد موجود, ففرّ الوالد سريعاً من باب آخر مطلّ على شارع مرتفع, وعندما سألوا الوالدة عنه أنكرت وجوده في البيت, أو معرفتها مكانه, وهنا سألوها عن قمصان رجالية معلّقة في الغرفة, فذكرت أنها لأسلافها.

-5-

المجاهد في السعودية

استمرّت المطاردة عدّة شهور, قرّر الوالد بعدها ترك أسرته في فلسطين واللجوء إلى السعودية, وبالفعل رتّب ذلك مع عدد من الأدلّة والأشخاص، وسافر إلى هناك وعاش لاجئاً سياسياً عند الحكومة السعودية, وبقي لمدّة سنتَيْن في مكّة, وكان عبدالقادر الحُسَيْني أبرز من زاملهم أثناء وجوده في مكّة.

ثم لمّا انتهت الحرب العالمية الثانية وظهر أنّ الإنجليز سينسحبون من فلسطين، وأصدروا عفواً عن



المجاهدين المطارَدين والفارّين، قرّر والد الفتى العودة من السعودية، ورتّب مجيئه إلى فلسطين, وعاد إلى صفّورية, وأُقيمت المشاعل والولائم احتفالاً بعودته، وكان استقبال المهنّئين يتم على سطح الدار لأنّ الجو كان صيفاً، وكان هناك (لوكسات) مضاءة، وكان الفتى يجلس بجانب والده عند استقباله للمهنّئين بسلامة العودة، وكان الفتى قد تعرّف على والده من جديد بعد أن فارقه لمدّة سنتَيْن، فقد أصبح أكبر عمراً، وأكثر وعياً، تعرّف عليه بعد أن انقطعت اللقاءات والتعايش بينهما، وكان قد درس الفتى في فترة غياب والده الصفّين الأول والثاني الابتدائي.



ان حامل هـــذه البطاقة الج

السيد احمد محمد التوبه

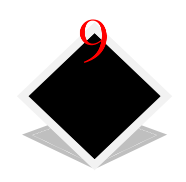
هو تابع لقوات الجهاد المقدس في ال

الشمالي . سرية

الرتبة : ملازم اول

توقيع القائد

الهوية العسكرية للمجاهد أحمد التوبة أثناء حرب 1948.



الفصل التاسع

حرب 48 واللجوء إلى سورية

-1-

جهاد في حَيْفا وشفا عمرو

قطن الوالد في الناصرة بعد أن عاد مِن السعودية، وعندما أعلنت الأُمم المتحدة تقسيم فلسطين، واندلع القتال في كل أنحاء فلسطين، اشترك الوالد في القتال الذي وقع في حَيْفا بين العرب واليهود، وكان مسؤولاً في منطقة (الحَلّيصَة)، ثم أصبح مسؤولاً عن منطقة (شفا عمرو) واشترى موتوسيكلاً لكي يتنقل بين الناصرة وشفا عمرو. وقد أخذ المجاهد ولده الفتى معه في إحدى المرّات إلى شفا عمرو، وكان مقرّ القيادة في قلعة شفا عمرو، ويذكر الفتى أنّ الوالد جعله يطلق رصاصاً في (الهوشكز)، وهو سلاح له شرشور من الرصاص، ثم أتوا بالليل بشخص سكران وعاقبه الوالد على سكره، فشفّع السكران الفتى من أجل إيقاف العقاب، فأوقف الوالد ضربه من أجل ولده الفتى.

ثم استلم المجاهد قيادة صفّورية، وكان مقرّ القيادة في مدرسة البنات المبنية من الجحر الأبيض في منطقة صفّورية الجديدة.

-2-

مشكلة عائلية في صفّورية

وزّع الوالد أسلحة على أهل صفّورية، وقد أعطى خالي قطعة سلاح ضمن الذين أعطاهم السلاح. وأخذني خالي مع أخي إلى الوالد في مقرّ القيادة في أحد الأيام، وبينما نحن نسير مع خالي، أقدم شخص على خالي وحاول اختطافي مع أخي منه، ولكنّ خالي قاوم ذلك، ولم يستطع خطفنا، لكنه خطف بندقية خالي أثناء التنازع والتجاذب مع الخاطف.

ذهب خالي وأخبر الوالد بالحادثة، هنا استشاط الوالد غضباً، وذهب إلى قلعة بلدتنا صفّورية وكان بها (هوشكز)، وكانت القلعة مشرفة ومطلّة على جميع بيوت القرية، وبدأ الوالد يطلق على عائلة سليمان، وهي العائلة التي ينتمي إليها الخاطف، وهي من أكبر عائلات البلدة، وهي العائلة التي يكون المختار عادة منها، فارتعب الرجال والنساء، وصاحوا مذعورين، ثم ذهب الرجال مهرولين مستفسرين عن سبب إطلاق النار، وعمّن هو مطلق النار، فتصدّر لهم الوالد، وهدّدهم بأنه سيفعل أكثر من ذلك، وبيّن لهم سبب ذلك وهو محاولتهم خطف أولاده، وطلب إليهم إرجاع بندقية خالي، ففعلوا ذلك وسُوّي الموضوع، وفهمت فيما بعد أنّ سبب الموضوع نزاع عائلي، وهو تضايق عائلة سليمان من كون

أحمد التوبة هو القائد من جهة، وتبرّمهم من توزيع السلاح من جهة ثانية، وتبرّمهم من حمل خالي السلاح من جهة ثالثة.

-3-

احتلال صفّورية

قصف الطيران اليهودي صفّورية في أحد الأيام من رمضان الذي وافق شهر تموز (يوليو) من عام 1948 عند الإفطار، فخرج الناس إلى الأشجار المحيطة ريثما يتوقّف القصف على أن يعودوا بعد قليل، ولكنّ زحفاً يهودياً برّياً على البلدة بدأ بقصد احتلالها، ثم احتل الصهاينة صفّورية، وتوجّه أهلها فارّين باتجاه لبنان، وتجمّعوا في بنت جبيل.

اتصل الوالد من هاتف القيادة في صفّورية بعائلة الكنج في الناصرة، وهم شركاء في شركة باصات رئيسية في الناصرة، وطلب منهم إخراج عائلته من الناصرة، لأنّ صفّورية قد سقطت في يد اليهود.

يتذكّر الفتى أنّ طارقاً جاء في الليل، وطلب المجيء معه، وبالفعل حزمت الوالدة بعض الأمتعة، وسارت الأسرة معه، ثم ركبت باصاً فيه عائلات أخرى، ومازال الفتى يذكر صوت المدافع والقنابل التي كانت تسقط على الأرض وتصل إلى مسامعه مِن محيط صفّورية، والعائلة تسير في شوارع الناصرة في آخر الليل، ثم توجّهت إلى الباص الذي نقلهم إلى بنت جبيل في لبنان، وهناك التقت الأسرة بالوالد.

وذكر أعمام الفتى أنّ والدتهم رفضت الخروج معهم من صفّورية عندما بدأ الناس بالخروج إلى القرى المجاورة بعد أن اشتدّ الحصار الصهيوني لصفّورية، وتقدّمت الدبابات لاحتلالها، ورفضت ذلك رفضاً قاطعاً مع إلحاحهم عليها بالخروج، ولم تكتف بهذا فقط، بل وقفت في وسط الطريق الذي يتقاطر منه أهل صفّورية فارين من القصف الصهيوني معنّفة إيّاهم، ومقبّحة فعلهم في الخروج، وبالفعل بقيت في صفّورية بعد الاحتلال الصهيوني لها، وعاشت فيها إلى أن أخرجها اليهود منها، وعاشت بقية حياتها في الناصرة إلى أن ماتت، لأنهم طبّقوا التطهير العِرْقي على صفّورية، فقد طردوا منها كل أهلها الباقين وجعلوها خالصة لليهود.

-4-

اللجوء إلى سورية

لجأ الوالد إلى حِمْص بسبب معارفه فيها، واستقبلنا معارفه أحسن استقبال فأنزلونا في بيوتهم، ثم عاد إلى بنت جبيل وجلب آل التوبة كلهم إلى حِمْص، وتوزّعوا في البداية على القرى المحيطة بمدينة حِمْص والتي تقع على نهر العاصي ليعملوا في مزارعها، ثم انتقلوا إلى مخيّم في ضواحي حِمْص، كان في الأصل ثكنة عسكرية.

ثم استأجر الوالد بيتاً وعاش فيه مع إخوته، وكان عيش الكفاف هو الغالب على حياة الأسرة، وكان أمل العودة يشغل جانباً من أفكارنا، وكان تذكّر صفّورية وجهاد الوالد فيها هو الذي يشغل المجالس والليالي، وكان الفتى يستمتع بهذه الأحاديث، وكانت بمثابة غذاء له، وكانت تشغل ذهنه قضية فلسطين باستمرار، لذلك انعكس كل هذا في تصرّفاته المبكّرة.

-5-

تشكيل (عصابة الكف الأسود)

شكّل الفتى في حِمْص مع أربعة أصدقاء سوريّين مسيحيّين له عصابة سمّوها (عصابة الكف الأسود) في المرحلة المتوسّطة مِن دراسته، وكتبوا لها ميثاقاً، وكان الهدف من إنشائها تهديد الخونة وقتلهم، وقد كان في هذا مقلّداً لوالده الذي ذكر له في أحاديثه أنه تشكّلت في فلسطين عصابة بهذا الاسم ولمثل هذا الهدف، وكان ممّا قامت به هذه العصابة أن اتفقوا على كتابة رسالة تحذير للملك الهاشمي فيصل في العراق من نوري السعيد، وعندما كتبوها كانوا حذرين من أن تنطبع بصماتهم على الرسالة، لذلك لبس الشخص الذي كتبها الكف كي لا تقع بصماته على الرسالة، وكذلك كانوا حريصين أن يكونوا مرتدين للكفوف

عند حملها، وقد أرسلوا شخصاً إلى دمشق ليرسلها من هناك إلى العراق من البريد الدمشقي لكي يضلّلوا السلطات المسؤولة عن مكان وجودهم.

وكان ممّا عملته هذه العصابة أيضاً، أن حاولت إنزال لافتة وكالة تشغيل وإغاثة اللاجئين الفلسطينيّين (الأونروا) التي كانت تضعها فوق باب مقرّها، لأنّ هذه الوكالة التابعة للأُمم المتحدة كانت تعتبر بمثابة ممثّلة للاستعمار الأمريكي الذي هو حليف لإسرائيل، وحاولوا لكنهم فشلوا في ذلك، فحاولوا تلطيخها ببعض القاذورات كحد أدنى.

وكانت هذه العصابة تجمع نقوداً من أعضائها المنتسبين بشكل شهري، واشتروا ببعض النقود حربة، والأرجح أنها حربة لبندقية أمريكية، وكانوا يشترون ببعض هذه النقود أوراق يانصيب لعلهم يربحون مبلغاً كبيراً يكون مموّلاً لعصابتهم.

-6-

تشكيل (ندوة الأقصى المبارك)

أصبح الفتى أكثر نضجاً في المرحلة الثانوية، وأكثر وعياً للعقائد والأفكار، فاختار الحركة الإسلامية، وشكّل مع بعض من أصحابه الفلسطينيّين منظمة فلسطينية سمَّوها (ندوة الأقصى المبارك)، وكانت هذه المنظّمة ذات خلفية إسلامية، وتحاورت هذه المنظّمة مع منظّمات فلسطينية أخرى في المدن السورية الأخرى، وفي بلدان أخرى، من أجل العمل في إطار واحد، أو من أجل مناقشة الهمّ الفلسطيني.

وكانت (ندوة الأقصى المبارك) تعمل بشكل علني في سورية، فتصدر البيانات السياسية في المناسبات الفلسطينية المختلفة: في ذكرى وعد بلفور، أو في ذكرى تقسيم فلسطين، أو في ذكرى نكبة فلسطين عام 48 إلخ ...، وكذلك تقيم الاحتفالات في المخيّمات الفلسطينية وفي مخيّم حِمْص بشكل رئيسي حيث نشأت الحركة، وغالباً ما تكون هذه الاحتفالات مناسبة لاستعراض الأوضاع السياسية، والتذكير بمآسي الفلسطينيّين، والدعوة إلى تحرير فلسطين إلخ...، فتُلقى الكلمات من شخصيات المخيّم، أو من شخصيات أخرى مدعوّة، وكانت الحركة تدعو كثيراً من

المشايخ والعلماء والخطباء ذوي المكانة والجاه والسمعة الطيّبة لإلقاء خطبة الجمعة في مسجد المخيّم، كما كانت حركة (ندوة الأقصى المبارك) تقوم ببعض التدريبات الرياضية ذات الطابع العسكري، كما قامت بالدعوة إلى مطالبة الحكومة السورية بفرض الجندية الإجبارية على الفلسطينيّين، وكتبت العرائض لهذا الغرض، وجمعت عليها توقيعات الفلسطينيّين، ونجحت دعوتها، واستجاب البرلمان السوري وشرّع قانوناً في ذلك في عام 1956.

ومن الوقائع التي حدثت مع الفتى في المرحلة الثانوية، أنه كان يسير في أحد المنتزهات مع صاحبه في (ندوة الأقصى المبارك) وإذا بهما يلتقيان بطالب شيوعي يعرفانه من المدرسة، وكانا قد تلاسنا معه في المدرسة حول الإسلام والشيوعية، ثم عادا إلى التلاسن بعد التقائهما صدفة مرّة ثانية، ثم تشابكا بالأيدي، وهنا سقطت الحربة التي كان يحملها الفتى، والتي اشتراها في المرحلة المتوسطة مع رفاقه في (عصابة الكف الأسود)، فأخذها الشيوعي إلى الشرطة، ورفع قضية ضدّ الفتى وصاحبه، وبالفعل جرى التحقيق ورفعت دعوى قضائية، وتحوّلت إلى محكمة الأحداث التي أنهت القضية بسبب حداثة الأشخاص المتصارعين.

وكان المجاهد يأخذ الفتى في زياراته لأصحابه المجاهدين، وكان مِن أولئك الأصحاب الحاجّ أمين الحُسَيْني القائد الأبرز في تاريخ القضية الفلسطينية، ومحمد عزة دروزة المؤرّخ الفلسطيني المشهور، وصالح النصر زميله في اغتيال أندروز، والعقيد مفلح ياسين الذي كان يعمل مدرّساً في الكلّية العسكرية في حِمْص إلخ...، وكان يستمع إلى الأحاديث التي تجري بينهم عن ذكرياتهم الجهادية، ووقائع القضية الفلسطينية ومستقبلها إلخ...

وكان الفتى يتحدّث مع والده عن أهدافه القادمة، وكان الوالد يجاذب الفتى الحديث في هذا المجال بعض الأحيان، وصارح الفتى والده برغبته في دخول الكلية العسكرية بعد الحصول على الثانوية، وحين حسب الفتى عمره عند الحصول على الثانوية وجد أنه أقل من السنّ الذي يسمح له بدخول الكلّية العسكرية، لذلك اتفقا على أن يشرعا في معاملة رسمية لتكبير سنّ الفتى من أجل تحقيق هذا الهدف، وقد قدّم والد الفتى معاملة بهذا الخصوص، وكبّر سنّ ولده عاماً واحد من أجل تحقيق إمكانية الدخول في الكلّية العسكرية لكي يستمر الفتى في استكمال نشاط الوالد العسكري القتالي.

لكنّ الفتى عدل عن ذلك التوجّه بعد أن حصل على الثانوية، ووجد أنّ العمل العسكري لا يحل المشكلة وحده،

فمشكلة فلسطين أعقد من ذلك، فهي مشكلة الأمّة جميعها، وأنّ حلّ مشكلة الأمّة يحتاج إلى عمل فكري ودعوي وسياسي واقتصادي وثقافي إلخ ...، بالإضافة إلى العمل العسكري، لذلك انخرط في العمل الإسلامي الحركي، وكانت عينه على القضية الفلسطينية يزاوج دائماً بينهما: العمل الإسلامي الحركي من جهة، والقضية الفلسطينية من جهة ثانية.






تم بحمد الله



الفهرس

الموضوع		الصفحة
مقدمة	....	5
الفصل الأول صفورية في ذاكرة الفتى	....	9
1- حديث عن جهاد والد الفتى	....	11
2- ذكريات عن البيت والبستان	....	12
3- علاقة الفتى مع عمّه	....	14
4- دار والدة الفتى	....	17
الفصل الثاني واقعة نَهْلا ل	....	21
1- نشأة الوالد	....	23
2- إلقاء القنبلة	....	24
3- فتح تحقيق في شأن القنبلة	....	26
4- طوق حول صفّورية	....	28
5- اكتشاف القنبلة	....	30
6- اعتراف مصطفى علي الأحمد	....	31

7- اعتقال والد الفتى 34
8- تهديد المحامي 37
9- تفاعل الأمّة مع المجاهدين 39
10- علاقة مع السجّان 42
11- المحاكمة في حَيْفا 44
12- احتفالات بالنجاة من المحاكمة 47
13- وقائع بعد محاكمة (قنبلة نَهْلال) 50

الفصل الثالث الثورة في عامي 1935 و 1936 53

1- خروج عز الدين القسّام إلى الجبال 55
2- إضراب عام 1936 57
3- والد الفتى يشعل معركة مع الإنجليز في محيط عكّا 59
4- نداء من الملوك والرؤساء العرب 62

الفصل الرابع الثورة عام 1937 65

1- أسماء مطلوبة من صفورية 67

2- اجتماع مع الأقارب 68

الفصل الخامس اغتيال أندروز 73

1- استطلاع وضع أندروز 75
2- الاجتماع بالمرشحين لاغتيال أندروز 77
3- وقائع في ساحة اغتيال أندروز 79
4- تنفيذ اغتيال الجنرال أندروز 81
5- العودة إلى صفّورية 83
6- نتائج اغتيال أندروز 84
7- تهنئة من القيادة 85

الفصل السادس جهاد والد الفتى في شمال فلسطين

.... 89

1- معركة مع خيّالة الجيش الإنجليزي 91
2- معركة في منطقة "القديرية" 93
3- نتائج المعركة 96
4- إلى ساحة الجهاد في قضاء عكّا 97

5- خطة جديدة للتضييق على المجاهدين
.... 100
6- محاولة لتجاوز الحدود اللبنانية 101
الفصل السابع واقعة (قرية تمرة) 105
1- جمع المال من أهل (قرية تمرة) 107
2- طوق إنكليزي حول القرية 108
3- دراسة الخيارات 109
4- لابد من تعريف 110
5- اسم جديد ... ومواجهة 111
6- نجاة وجلوس بين أهل القرية 113
7- معركة مع الإنجليز 114
الفصل الثامن ملاحقات وتنقّلات 117
1- اعتقال المجاهد في دمشق 119
2- المجاهد في العراق 122
3- المجاهد في حِمْص 123

4- هروب المجاهدين من سجن عكّا 124
5- المجاهد في السعودية 126

الفصل التاسع حرب 48 واللجوء إلى سورية

.... 129

1- جهاد في حَيْفا وشفا عمرو 131
2- مشكلة عائلية في صفّورية 132
3- احتلال صفّورية 134
4- اللجوء إلى سورية 136
5- تشكيل (عصابة الكف الأسود) 137
6- تشكيل (ندوة الأقصى المبارك) 139
الفهرس 147

من إصدارات المؤلف

- الفكر الإسلامي المعاصر (دراسة وتقويم)	1969
- النكسة في بعدها الحضاري	1973
- في مجال العقيدة (نقد وعرض)	1986
- جذور أزمة المسلم المعاصر (الجانب النفسي)	1993
- الجماعة في الإسلام (المشروعية والإطار)	1995
- التغيير في العالم الإسلامي: أزمة موضوعية أم ذاتية؟	1996
- أبو الأعلى المودودي فكره ومنهجه في التغيير	1996
- الأمة الإسلامية بين القرآن والتاريخ	1999
- إشكالية النهضة: بين الفكر القومي العربي والصحوة الإسلامية	2002
- النفس المسلمة: صور من بنائها وأحوالها	2005
- كتاب القضية الفلسطينية: الواقع والآفاق	2005
- لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل ضعف الأمّة	2008

هذا الكتاب/القصة

دوّن الكاتب بهذا الكتاب/القصة سيرة والده المجاهد أحمد التوبة الذي ارتبط بحركة عزّالدين القسّام في فترة مبكّرة من حياته، كما ذكر جانباً من أعماله الجهادية، وأبرز الكاتب بعض ذكرياته عن قريته (صفّورية)، وتحدّث عن لجوء عائلته إلى سورية بعد نكبة 1948، وصوّر أثر هذه النكبة في حياة أسرته بشكل عام.